بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزيرة

كلية التربية - حنتوب

قسم الجغرافيا والتاريخ

الخليفة الوليد بن عبد الملك ودوره في الدولة الأموية

86ـ 96هـ/ 705ـ715 م

إعـــــداد :

عاصم خلف اللّه الأمين البشير

الدرجة العلمية السابقة : بكالوريوس الشرف في التربية(تخصص جغرافيا- تاريخ)

كلية العلوم التربوية، الكاملين - جامعة الجزيرة (مارس 2008م)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ

(تخصص تاريخ إسلامي)

محرم 1434هـ - ديسمبر 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخليفة الوليد بن عبد الملك و دوره في الدولة الأموية

(86–96 هـ –705 – 715 م)

إعـــداد :

عاصم خلف اللّه الأمين البشير

أعضاء لجنة الاشراف

الاسم	الصفة	التوقيع
د. إبراهيم عمر عثمان الطاهر	**المشرف الأول**	
د. أحمد عبد اللّه محمد آدم	**المشرف الثاني**	

تاريخ المناقشة : 7/صفر /1434هـ الموافق 20/ديسمبر /2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخليفة الوليد بن عبد الملك و دوره في الدولة الأموية
(86–96 هـ –705 – 715 م)

إعـــداد :

عاصم خلف اللّه الأمين البشير

أعضاء لجنة الامتحان :

الاسم	الصفة	التوقيع
د. إبراهيم عمر عثمان الطاهر	مشرفاً ورئيساً	
د. عبد الفتاح محمد الكباشي البشير	ممتحناً خارجياً	
د. أمين أحمد الطاهر الفضل	ممتحناً داخلياً	

تاريخ المناقشة : 7/صفر /1434هـ الموافق 20/ديسمبر /2012م

الشكر و التقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم وعلي آله وصحبه أجمعين .في البدء أتقدم باسمي آيات الشكر والعرفان لأستاذي الجليلين الدكتور إبراهيم عمر عثمان الذي أشرف علي هذه الدراسة، وبذل جهداً كبيراً في تصحيحها وكانت لملاحظاته وتوجيهاته أثراً كبيراً في أن تخرج هذه الدراسة في هذه الصورة ، كما أتوجه بوافر شكري وتقديري للدكتور أحمد عبد الله محمد ادم المشرف الثاني علي هذه الدراسة لما أسداه لي من توجيه ونصح وإرشاد ، كما يمتد شكري وتقديري إلي الدكتور أمين أحمد الطاهر الذي استفدت من استشاراته وتوجيهاته .

والشكر موصول إلي جامعة الجزيرة ولعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي التي سمحت لي بالتسجيل لدرجة الماجستير كما أعبر عن شكري لكلية التربية حنتوب و لأسرة المكتبة و لقسم الجغرافيا والتاريخ بكلية التربية حنتوب ، وأيضاً يمتد شكري لمكتبة كلية التربية الحصاحيصا و مكتبة السودان والمكتبة المركزية جامعة امدرمان الإسلامية ومكتبة جامعة السودان ، ومكتبة جامعة النيلين .

وشكري موصول للأستاذ / الزين محمد طه إدريس الذي قام بتصويب الدراسة من حيث اللغة ، ولا يفوتني أن اشكر الأخت / **إيناس محمد يوسف** التي عاونتني في طباعة هذه الدراسة حتى خرجت بهذه الصورة .

وفي الخاتم خالص تقديري وشكري وعرفاني لأسرتي الكريمة التي وقفت إلي جانبي منذ بداية هذه الدارسة والي أن رأت النور .

الخليفة الوليد بن عبد الملك ودوره في الدولة الأموية
(86هـ - 96هـ - 705 م – 715م)

عاصم خلف الله الأمين البشير

ملخص الدراسة

يزخر التاريخ الإسلامي بعدد كبير من الخلفاء الذين كان لهم دور بارز في مسار حركة الإسلام وانتشاره وفي مجالات تطور الدولة الإسلامية ومن هؤلاء الوليد بن عبد الملك. هدفت الدراسة لإماطة اللثام عن شخصيته ودوره في الدولة الأموية وتوطيد دعائمها. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي . توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن الوليد وصل إلى الخلافة عبر الوراثة واقتفى اثر سياسة والده عبد الملك بن مروان فأبقي على بعض القادة الذين تميزوا بالحنكة والشجاعة والإقدام ، وتمكن بفضلهم من تحقيق الفتوحات الإسلامية في المشرق التي توجت بمحاولة فتح بلاد الصين وفي المغرب وصلت إلى بلاد الأندلس وجنوب فرنسا، كما أظهر اهتماماً بالفقراء والمساكين والمرضي وخصص لهم أرزاقاً منتظمة ، كان كلفاً بالعمارة والأبنية بجانب أهتمامه بتعريب الدواوين . توصى الدراسة بتقديم دراسة علمية عن خلفاء الدولة الإسلامية الذين لم تفرد لهم دراسات تكشف دورهم في بناء الدولة الإسلامية، و بدراسة عن فتوحات الخليفة الوليد ابن عبد الملك وأثرها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

The caliph Al-Waleed Ibn Abdul Malik and his Role in the Umayad State (715 – 705 – 96 – 86)

Asim Khalf Allh Al – Amin Al – Bashir

Abstract

The Islamic history is rich in a number of caliphs who had a prominent role in the movement of Islam and its spread .And in fields of development of the Islamic state, one of these caliphs is Al-Waleed Ibn Abdul Malik. The study aimed at identifying his personality and role in establishing the Umayad state firmly. The study adopted the historical method. The study revealed the following results: Al-Waleed became caliph through succession. He followed his father's policy – Abdul Malik Ibn Murwan – he kept the leaders who are characterized by bravery, experience and boldness. They enabled him to achieve Islamic victory in the orient which was crowned by an attempt of conquering China and in the occident; they arrived at Andalusia and South France. He was interested in the poor and the ill and allotted systematic subsistence to them. He was also interested in architecture besides his interest in Arabicization. The study recommended making investigations about Islamic caliphs whose roles in establishing Islamic states have not been investigated as well as studying the conquering of the Caliph Al-waleed Ibn Abdul Malik and its economic, social and cultural effect.

الفهرس المحتويات

المقدمـــة العامة

(أ) أهمية الدراسة :-

تبرز هذه الدراسة دور الخليفة الوليد بن عبد الملك في بناء الدولة الأموية ، والسياسة التي انتهجها والتي تعتبر امتدداً لسياسة والده ، فضلاً عن إظهار دور بعض القادة الذين استعان بهم في توطيد دولته و في نشر الإسلام خارج نطاق شبه الجزيرة العربية كأمثال القائد موسي بن نصير وطارق بن زياد اللذين أوصلا الإسلام في عهده إلي أوربا ، كما تبرز مجهودات القائدين قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند ومحاولة فتح الصين ، كما تبرز الدراسة الإصلاحات الداخلية التي قام بها الوليد بن عبد الملك والتي جاءت امتداداً لسياسة والده وأنه احتفظ بعدد من الولاة في مواقعهم .

(ب) أسباب اختيار الدراسة :-

هنالك العديد من الأسباب التي دفعتني لهذه الدارسة منها:

1. قلة الدارسات التي تناولت انجازات وادوار الخلفاء الأمويين .
2. لم تفرد دراسة لوحدها لهذا الموضوع .
3. إثراء المكتبة الإسلامية والعربية بعمل يحوي ويفصل دور الخليفة الوليد بن عبد الملك في بناء الدولة الأموية .
4. يعتبر الوليد من الخلفاء الذين لا يمكن تجاوزهم في تاريخ الدولة الأموية وتوضيح الإصلاحات والفتوحات التي شهدتها فترة خلافته وأنه من أوائل المؤسسين لهذه الدولة لما قام به من إصلاحات وفتوحات تمت في عهده .

(ت) نطاق الدراسة :-

1. النطاق الزماني: تتناول الدراسة الفترة (86 . 96 هـ / 705 . 715 م)
2. النطاق المكاني :

شملت هذه الدارسة شبه الجزيرة العربية وشرق أسيا وامتدت إلي أفريقيا والأندلس في أوربا .

(ث) الصعوبات التي واجهت الدراسة:-

قد واجهتني بعض الصعوبات تمثلت في: عدم توفر المصادر والمراجع في مكان واحد ، فكانت مبعثرة في مكتبات متفرقة بالخرطوم والجزيرة فكلفني ذلك جهداً مادياً ومعنوياً ، وأيضاً من المشكلات التي واجهتني صعوبة استخلاص الحقائق من المصادر وذلك بسبب الأسلوب أو اللغة القديمة ، فضلاً عن ذلك فان تناولها للأحداث لم يكن على نهج واحد ، فهنالك مصادر تسرد الأحداث وفقاً لتسلسلها الزمني مثل الطبري ، وبعض المصادر تسردها حسب موضوعاتها مثل البلاذرى ، إضافة إلي ذلك في بعض الأحيان توجد عدة أحداث في رواية واحدة ، مما جعلني ابذل جهداً كبيراً في جمع هذا التفرق المتباين بين الروايات المختلفة.

(ج) مكان الدارسة من الدارسات السابقة:-

لا تدعى الدراسة بأنها تناولت هذا الجانب بل كانت هنالك دراسات سابقة تطرقت إلي الموضوع من بعض جوانبه ولم اعثر على رسالة قدمت في الجامعات السودانية أفردت بحثاً عن الخليفة الوليد بن عبد الملك ودوره في بناء الدولة الأموية ، ومعظم الدارسات التي وقفت عليها كانت قد تناولت قادة كان لهم دور بارز ومؤثر في أثناء فترة الوليد وفتوحاتهم واذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1. الطاهر ، أمين احمد ، دور القائد موسي بن نصير في بلادي المغرب والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة 2000م.

ح/ تقويم أهم المصادر والمراجع :

أ /المصادر العربية الأولية:-

اعتمدت الدراسة على معظم مصادر التاريخ الإسلامي واهم هذه المصادر ما يلي:-

1. ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، دار صار ، بيروت ، 1979م . وهو من المصادر المهمة في التاريخ الإسلامي حسب تسلسلها الزمني ، وكانت استفادتي منه كبيرة .

2. المسعودي ، أبو الحسن علي بن حسين المتوفى 346هـ / 957م ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، وقد استفدت منه فائدة كبيرة فيما يختص بالمسائل الاجتماعية والثقافية في العصر الأموي .

3. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير المتوفى 310هـ / 922م ، تاريخ الأمم والملوك ، تفرد فيه بإسناد الروايات لأصحابها ، كما تميز بتعدد الروايات حول الموضوع الواحد الأمر الذي مكّن من المقارنة والتحليل وصولاً إلي الحقائق .

4. ابن خلكان ، شمس الدين أبي العباس احمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة 681هـ / 1283م ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو معجم في التراجم والسير والأخبار والتي جاءت مرتبة على حروف الهجاء واستفدت منه في ترجمة بعض الشخصيات .

5. الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله المتوفى سنة 626هـ / 1228م ، معجم البلدان ، وهو من كتب الجغرافيا الذي يهتم بتوضيح التوزيع الجغرافي للمواقع التي شملها البحث والذي استفدت منه استفادة قصوى في ترجمة البلدان وقد رتبت فيه البلدان على حروف الهجاء .

وهنالك مصادر أخرى استفدت منها استفادة عظيمة، وكان لها اثر كبير في إخراج البحث بهذه الصورة لما اشتملت عليه من أحداث مهمة ، والتي لا يتسع المجال لذكرها فمكانها ثبت المصادر والمراجع .

ب/ الرسائل الجامعية :-

اطلعت الدراسة على عدد من الرسائل الجامعية والتي تطرقت إلي بعض جوانب الدراسة وقد استفدت منها في ترجيح بعض الروايات ، واذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

1. الطاهر ، أمين احمد ، الصراع اليمني القيسي في ولايات الدولة الأموية وآثاره السياسية ، رسالة دكتوارة غير منشورة ، قدمت لكلية التربية حنتوب ، جامعة الجزيرة ، 2009م .

2. احمد ، الأمين عبد الرحيم ، ولاية العهد عند الأمويين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لكلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، 1992م .

ج/ المراجع العربية :

كان لابد من الرجوع لبعض المراجع الحديثة لما لها من أهمية كبيرة في مناقشة وتحليل الأحداث فضلاً عن أهميتها في دعم وترجيح بعض الروايات التي اختلفت حولها المصادر الأولية وجاءت الاستفادة منها كبيرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

1. حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م .

2. شاهين ، حمدي الدولة الأموية المفتري عليها ، دار القاهرة للكتب ، الطبعة الثالثة ، 2005م .

3. عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، تاريخ الدولة الأموية ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1421هـ .

4. عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، الطبعة الرابعة ، 1423هـ .

5. شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مطبعة النهضة المصرية ، 1978 .

وهذا بالإضافة إلى المراجع الأجنبية المعربة .

(خ) منهج الدراسة :-

1. المنهج الفكري :

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدارسة فهو المنهج التاريخي الوصفي، (الاستقرائي) الذي يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها

2. المنهج الكتابي :

تتكون هذه الدراسة من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة ونتائج وتوصيات ، يتناول التمهيد انتقال الخلافة من الفرع السفياني الذي كان يحكم الدولة الأموية في بدايتها إلي الفرع المرواني.

أما الفصل الأول فيتناول حياة الوليد منذ ولد إلي أن ولي الخلافة.

ويتناول الفصل الثاني سياسة الوليد الداخلية التي اعتمد فيها على بعض القادة الذين كان لهم دور مؤثر في الدولة واستقرارها.

ويجيء الفصل الثالث متناولاً الفتوحات التي تمت في جبهة المشرق والتي برز فيها دور قائدين كبيرين هما قتيبة بن مسلم الباهلي في إقليم خراسان ومجهودات محمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند ومحاولة فتح بلاد الصين .

وينفرد الفصل الرابع لعملية متابعة الفتوح الإسلامية في الجبهة المغربية وبرزت فيها مجهودات موسي بن النصير الذي وجه مولاه طارق بن زياد قائد جيشه لفتح بلاد الأندلس التي اكتمل فتحها بعد وصول الأول .

ثم تأتي الخاتمة والنتائج والتوصيات وتذيل الدراسة بملاحق وثبت المصادر والمراجع والفهرس .

التمهيـــد

نقل الخلافة إلى الفرع المرواني

أ/ خلافة معاوية بن أبي سفيان [*]:

اعتلي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه منصب الخلافة بحد السيف تارة وبالمكيدة والسياسة تارة أخرى . وقد دعا المسلمون إلى الحسن بن على[*1] رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه واستخلفوه بيد أن خلافته لم تستطع الصمود أمام قوة معاوية أضف إلى ذلك انهزام جيوشه أمام جند الشام فأدي إلى تقاعس وتخلي أهل العراق[*2] عنه فأصبح لا قبل له بمعاوية وجنده فعقد

(*) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي ، يكني بأبي عبد الرحمن ، يجتمع مع سيدنا عثمان بن عفان في أمية بن عبد شمس ، اسلم هو وأبوه وأمه يوم فتح مكة 8هـ – 628م وهو من كتاب الوحي، لما فتحت الشام ولاه سيدنا عمر بن الخطاب دمشق واقره سيدنا عثمان بن عفان من بعده وبنى قبة الخضراء بدمشق ، وهو أول خلفاء بني أمية – توفي سنة 60هـ/679 م .

ـ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن على ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد على البجاوي ، دار الجيل ، بيروت 1412هـ ، ج 3 ، ص 433 .

(*1) الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنه ، أبو محمد ، سبط رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولد في رمضان 3هـ /624 م وكان شبيهاً بالنبي صلي الله عليه وسلم وسماه الحسن وعق عنه يوم السابعة وحلق شعره وأمر أن يتصدق بوزن شعره فضه ، توفي بالمدينة 49هـ / 669 م .

. السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الخلفاء ، بيروت ، دار التراث ، 1969 م ص 213 – 218 .

(*2) العراق سمي العراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات ومأخوذة من عراقي الدلو .

– الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1959م ، ج 1 ، ص 190 .

معه صلحاً تنازل له فيه عن حقه من الخلافة حقناً للدماء على أن يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين وفي اليوم الخامس والعشرين من ربيع الثاني 41هـ / 660 م دخل معاوية الكوفة [3*]حيث أُخذت له البيعة بحضور الحسن و الحسين[4*] واجتمع عليه الناس فسمى ذلك العام بعام الجماعة وبذلك أصبح معاوية صاحب السلطان المطلق في الولايات الإسلامية. [1]

بعد هذه البيعة التي استعادت فيها الأمة الإسلامية وحدتها السياسية وأصبحت بذلك دمشق [*]عاصمة الخلافة الأموية ، وقد كان معاوية أرحب أفقاً ، وأبعد مدي من المحيط الذي حوله وكان يتطلع إلي قيام دولة إسلامية يسودها الرخاء والعدل ، وينتهي فيها سيل الدماء إلي الأبد، لذلك اجتهد أن يقيم صرح دولته على عدة أركان أهمها :

1/ اهتم بالجيش الذي أنشأه ونظمه منذ أن كان والياً على الشام وجعله الركيزة في تحقيق الإستقرار وإخضاع المعارضة في الداخل ثم التوسع في الخارج .

2/ وفي مجال سياسته الداخلية اهتم بالإدارة وتحقيق التوازن القبلي وتأمين ولاية العهد .

3/ الإحسان إلي كبار الشخصيات الإسلامية من الصحابة وأبنائهم .

(3*) الكوفة من المدن المشهورة بأرض بابل، جاء إليها المسلمون ومصروها بعد سنتين من البصرة .

– القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960 م ، ص 250.

(4*) الحسين بن على بن أبي طالب ، سبط النبي صلي الله عليه وسلم ومحبوبه ، ولد 5هـ ، حج خمسة وعشرين مرة ، شارك مع أبيه يوم الجمل ، قتل شهيداً في موقعة كربلاء 61هـ / 681 م .

– الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1981م، ج 3، ص 209.

– محمود ، نصير ، أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك ، مطبعة خلف ، مصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص 48 .

(1) حسن ،إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م ج1، ص300.

(*) دمشق من أشهر مدن الشام تتميز بكثرة المياه والفاكهة وقيل إنها سميت بدمشاق بن فافي من أبناء سيدنا نوح عليه السلام .

. الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر، 1955م ، ج 5 ، ص 181 .

4/ ولتوطيد الأمن في ربوع العالم الإسلامي ، اختار أفضل الرجال ليعاونوه في إدارة الدولة وتحقيق الاستقرار فيها . [2]

5/ اعتمد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سياسته التوسعية على مواهبه السياسية حيث كان على درجة عالية من الذكاء والمرونة. [3]

وتطورت منهجية معاوية السياسية حسب مفهوم جمهور المسلمين بها ، إلي الملكية ، لكن من الثابت أن معاوية وإن طلب الملك ، إلا انه كان يحرص على أن يبقي شيخ العرب أكثر من ملكهم . [4]

ب/الأمويون وتوريث الخلافة:-

الإمامة موضوعه لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم البعض واختلف في وجوبها وظهر السؤال في أنها هل تجب بالعقل أم الشرع ؟ فقالت طائفة تجب الإمامة بالعقل وذلك لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ، ولولا الولاة لكانوا فوضي مهملين ، بينما قالت طائفة أخرى : بل تجب بالشرع دون العقل ، وذلك لأن الإمام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزاً في العقل أن لا يرد التعبد بها ، فلم يكن العقل موجباً لها ، وإنما اوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع ، ويأخذ بمقتضي العدل في التناصف يتدبر بعقله لا بعقل غيره ، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلي وليّه في الدين قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) .[*] [5]

---

(2) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، تاريخ الدولة الأموية ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولي ، 2006م ، ص 18.

(3) المرجع السابق نفسه ، ص 19.

(4) طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الأموية ، دار النفائس ، بيروت الطبعة الثالثة ، 1421هـ ، ص 17 .

(*) سورة النساء: الآية (59).

(5) الماوردي ، أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي 1985م ، ص 5 .

ولم يؤثر عن النبي صلي الله عليه وسلم نص صريح في مسالة الحكم من بعده ، بل ترك هذه المسألة من غير أن يقطع أو يسن فيها ، ورأي أن يترك الأمر شوري للمسلمين ليختاروا من أحبوا ومن ارتضوا به. (6)

والخلافة لغة مصدر (خلف) يقال : (خلفه خلافة ، كان خليفته وبقي بعده ، ومن يخلف الرسول صلي الله عليه وسلم من إجراء الأحكام الشرعية فهو خليفته ويسمي أيضاً إماماً، وتسمية إمام فهي تشبيه بإمام الصلاة في أتباعه والاقتداء به ، والخلافة في الاصطلاح هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي صلي الله عليه وسلم. (7)

والإمامة هي النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم والإمام هو وليهم والأمين عليهم ويحرص على مصالح الأمة في حياته بأن يقيم فيهم العدل ويفصل بين المتخاصمين منهم ويؤدي لهم واجباتهم في الأمور كلها ، هذا في حياته وأن ينظر إليهم في مماته وذلك بأن يولي أو يستخلف من يصلح لهم بعد مماته. (8)

وقد غيّر انتقال الخلافة إلي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نظام الشورى الذي كان أساس انتخاب الخليفة ، وتحولت الخلافة إليه بالسيف والسياسة .(9)

وكان عهد معاوية لابنه يزيد (*) يري فيه مراعاة المصلحة وذلك في اجتماع المسلمين واتفاقهم و باتفاق أهل الحل والعقد منهم من بني أمية إذا كان بنو أمية في ذلك الوقت لايرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة اجمع وأهل القلب منهم ، فلذلك آثر ابنه يزيد دون غيره مما يظن أنَه أولي بها ، وعدل عن الفاضل إلي المفضول حرصاً منه على الاتفاق ومن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته

---

(6) حسن، إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 349.

(7) المرجع السابق نفسه، ج 1 ، ص 350 .

(8) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات والنشر ، بيروت ، 1961م، ج 1 ، ص 221 .

(9) حسن , إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص 356 .

(*) ولد يزيد من ميسون بنت بحدل الكلبية ، نشأ يزيد مع أمه في البادية ، كان فصيحاً ، كريماً وشاعراً ، بويع بالخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سيفان رضي الله عنه في 60هـ / 680 م ومكث بها حوالي ثلاث سنوات 63هـ / 684 م وحدثت في خلافتة إحداث كثيرة .

- حسن, إبراهيم حسن ، المرجع السابق نفسه ، ج 1 ، ص 243 .

وصحبته مانعة من سوي ذلك ، وأما أن يكون القصد من العهد هو حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية ، إذن هو أمر من الله يختص به من يشاء من عباده ، فينبغي أن يحسن الإنسان فيه النية ما أمكن خوفاً على نفسه من العبث بالمناصب الدينية ، والملك لله يأتيه من يشاء .[10]

ولذلك اعتبر بعض الفقهاء أن فكرة ولاية العهد أمراً ضرورياً بل هي مفضلة ومهمة لاستقرار حال الدولة [11].

وبذا أصبح معاوية أول من فكر في أمر البيعة لابنه في حياته وأصبحت الفكرة من بعده سنة سار عليها الخلفاء. [12]

تعتبر مسألة ولاية عهد معاوية لابنه يزيد من بعده بالخلافة وأخذ البيعة له من أكثر المسائل التي وُجِّه إليه النقد من أجلها ، على اعتبار أنه خرج بهذا المنهج الذي اتبعه المسلمون في اختيار خليفتهم منذ خلافة سيدنا أبي بكر الصديق [*] رضي الله عنه حتى خلافة الحسن بن على رضي الله عنه [*1]، فقد كان هذا الاختيار يتم عن طريق الشورى والبيعة الحرة من غالبية الصحابة على الأقل ، ولم يفكر أحد من الخلفاء الراشدين في توريث الخلافة لأحد أبنائه ورفض عمر بن

---

(10) ابن خلدون مصدر سبق ذكره ،ج1، ص 223 .

(11) شاهين ، حمدي ، الدولة الأموية المفترى عليها ، دار القاهرة للكتب ، الطبعة الثالثة ، 2005 م ، ص 136 .

(12) أحمد ، الأمين عبد الرحيم ، ولاية العهد عند الأمويين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية الآداب جامعة الخرطوم، 1992م ، ص 88 .

(*) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أمه هي أم الخير سلمي بنت صخر ، شب على الأخلاق الفاضلة الكريمة وكان محبوباً عند قريش وكان يعمل بالتجارة ، أول من اسلم من الرجال ، صاحب النبي صلي الله عليه وسلم قبل النبوة ، شهد جميع الغزوات مع النبي صلي الله عليه وسلم ، كما رافقه يوم الهجرة إلى المدينة المنورة ، سمي بالصديق لأنه صدق النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج ، تولي الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم في سنة 11هـ / 631مـ ، وتوفي 13هـ / 633 م وهو والد السيدة عائشة زوجة النبي صلي الله عليه وسلم ، ووردت في فضله أحاديث كثيرة .

- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،1995م، ج 3 ، ص 214 .

(*1) على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهو ابن عم النبي صلي الله عليه وسلم ، وزوج ابنته فاطمة ، ولد بعد الرسول صلي الله عليه وسلم بثلاثين سنة وهو أول من اسلم من الشباب ، تولي الخلافة بعد سيدنا عثمان واستشهد في رمضان 40هـ / 659 م .

- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 289 .

الخطاب (*2) رضي الله عنه تولية ابنه عبد الله (*3) عندما أشار عليه الناس بذلك ، كما رفض الإمام علي كرم الله وجهه أن يعهد لابنه الحسن وقال لأصحابه :(لا أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر) ، فمعاوية بذلك يكون قد خرج على هذه القاعدة ، وابتدع فكرة التوريث . (13)

وذكر أن الذي أشار على معاوية بفكرة ولاية العهد هو المغيرة بن شعبه(*) حينما شعر بأن معاوية ينوي عزله عن الكوفة فأراد التقرب إليه بهذه الفكرة ، ومهما يكن من أمر هذه الرواية فالذي يرجح أن معاوية عزم على تولية ابنه يزيد العهد ليكون خليفة بعده لأنه رأي أن ذلك ضرورة لوحدة الأمة ومنع الاختلاف وكان ينتظر الوقت المناسب لذلك ، حتى و لو لم يشر عليه المغيرة أو غيره بذلك ، وإذا كان للمغيرة أثر في تشجيعه للفكرة والترويج لها وإقناع الناس بها ، لأن هذا لم يكن سهلاً خصوصاً مع وجود من يرون إنهم أفضل من يزيد كأمثال عبد الله بن الزبير (*1)

(*2) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي ينتهي نسبه إلي كعب بن لؤي بن غالب ، يكني بأبي حفص ، ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين ، تولي الخلافة عقب وفاة سيدنا أبو بكر الصديق 13هـ / 634 م توفي مقتولاً سنة 23هـ / 644 م على يد أبو لؤلؤة المجوسي .

– ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق نفسه ، ج 4 ، ص 591 .

(*3) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولد قبل الهجرة باثني عشر سنة ، وعندما توفي كان عمره ست وثمانون سنة ، كان من أبطال المسلمين ، شهد عدة غزوات مثل اليرموك ومؤتة والخندق .

– الزركلي ، خير الدين بن محمود محمد ، الإعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1992م ، ج 5 ، ص 108 .

(13) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1938م ، ج 5 ، 146

(*) المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود ، ينتمي إلي قبيلة ثقيف ، وصف بالدهاء ، اسلم عام الخندق وشهد صلح الحديبية 6هـ / 627 م ، ولاه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه البصرة والكوفة ، توفي 50هـ / 669 م .

– ابن حجر العسقلاني ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 207 .

(*1) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب ، يقال له أبو حبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، هاجرت إلي المدينة المنورة وهي حامل به فولدته بقباء أول مقدمهم إلي المدينة المنورة ، كان صواماً قواماً ، روي عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن أبيه الزبير بن العوام وعن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم ، قتل على يد الحجاج بن يوسف 73هـ / 693م .

– ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر بيروت، 1993، ج 3، ص 164.

وغيره ، ولذلك بذل معاوية جهداً مضنياً لإقناع الناس عن طريق الترغيب تارة وعن طريق الترهيب تارة أخري ٠ (14)

وعندما سافر إلي المدينة المنورة (*2) وعرض معاوية أمر البيعة على أهلها ، اعترض البعض منهم وقال له عبد الله بن الزبير : (نخيرك بين ثلاث خصال فقال ! اعرضهن: قال : تصنع كما صنع رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أو كما صنع أبو بكر الصديق ، أو كما صنع عمر بن الخطاب ، قال معاوية فماصنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ولم يستخلف أحداً فارتضي الناس أبا بكر . قال : ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف ، قالوا : صدقت . فأصنع كما صنع أبو بكر فأنه عهد إلي رجل لم يكن بينه نسب ، وإن شئت فأصنع كما صنع عمر جعل الأمر شوري) ، ولكن معاوية رفض كلام ابن الزبير وأصر على البيعة لابنه يزيد فانحصرت المعارضة في عبد الله بن الزبير والحسين بن على ، وبذلك يكون معاوية قد أخذ البيعة لابنه يزيد بعد موافقة الجميع عدا قليل ، فقسا معاوية عليهم وخالف شروط الخلافة وانتقل بها من خلافة إسلامية شورية إلي ملكية وراثية.(15)

ولما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بايع الناس يزيد بالخلافة وتخلف عن بيعته الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن العباس(*) ، وعبد الله بن عمر ، فكتب يزيد إلي الوليد بن عتبة(*1) عامله على المدينة أن يأخذ

---

(14) عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، الطبعة الرابعة ، 1423هـ، ص 129 – 130 .

(*2) المدينة المنورة كانت تسمي يثرب قبل هجرة النبي صلي الله عليه وسلم إليها ، وقد سماها طيبة لأنه كره اسم يثرب لما فيه من التثريب وهو اللون والتغيب .

– الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سبق ذكره ، ص 617 .

(15) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 م ، ج 3 ، ص 92 .

(*) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يكني بأبي العباس، ابن عم النبي صلي الله عليه وسلم، وكان يسمي البحر لسعة علمه ، استعمله علي رضي الله عنه على البصرة ، توفي بالطائف 68 هـ / 687 م .

– ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ج 3 ، ص 185 .

(*1) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والده أخ معاوية بن أبي سفيان ، كان قد تولي مصر في عهد أخيه معاوية في 43هـ / 661 م .

– الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، تاريخ ولاة مصر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1987م ، ص34.

البيعة من هؤلاء النفر ، فبايعه عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، أما عبد الله بن الزبير فأنه رفض وذهب إلي مكة ، وأخذ يعمل على بث الدعوة لنفسه ، ولكنه وجد في الحسين بن علي منافساً قوياً ، ولما طلب عامل المدينة من الحسين بن علي أن يبايع يزيد بالخلافة قال له : (أما البيعة فإنّ مثلي لا يعطي بيعته سراً ، ولا أراك تجتري بها منى سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية ، فإذا حضرت الي الناس فدعوتهم إلي البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً) ، فقال له الوليد وكان يحب السلم : فانصرف على اسم الله . وعلى اثر هذه المقابلة توجه الحسين إلي مكة وكتب إلي أهل الكوفة . (16)

ويذكر أن يزيد لما حضرت إليه الوفود واشراف العرب لتعزيته في أبيه وتهنئته بالخلافة ، صعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : (... إن معاوية كان حبلاً من حبال الله مده ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، وكان من دون من كان قبله ، وخيراً ممن بعده ، إن يغفر الله له فهو أهله ، وإن يعذبه فبذنبه ، وقد وليت الأمر بعده ، ولست اعتذر عن جهل ، ولا اشتغل بطلب علم ، فعلى رسلكم فإنّ الله لو أراد شيئاً كان ، اذكروا الله واستغفروه...) ، ثم نزل ودخل منزله (17)

ومن ابرز الأحداث في عهد يزيد ، قتل الحسين بن علي في كربلاء (*) ومهاجمة جيوش يزيد المدينة المنورة ورمي الكعبة بالمنجنيق (* 1) ،وحكم يزيد حوالي ثلاث سنوات ومات في شبابه ، ولم يهنأ بالخلافة يوماً واحداً فقد غلبت عليه

---

(16) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص 92 .

(17) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 73 .

- عوض الله ، الشيخ الأمين ، تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سبق ذكره ، ص 42 .

(*) كربلاء موضع قرب الكوفة ، قيل أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما أدركها سأل عنها فقيل له كربلاء فقال : ارض كرب وبلاء ، وقرر الخروج منها ولكنه قتل .

- ياقوت الحموي، مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 445.

(*1) المنجنيق بفتح الميم وكسرها آلة ترمي بها الحجارة ،ورميت الكعبة بالمنجنيق عندما تأمر الحصين بن نمير بعهد من يزيد ، فأقبل حتى نزل على مكة المعظمة ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون ، وكانت المجانيق أصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي أصابه ، وفي ذلك الزمن جاءهم نعي يزيد ابن معاوية فرجعوا إلى الشام.

- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت ، 1884م ، ج 5، ص188.

- السيوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص 242 .

الأحداث فأخذ يعالجها ولكن العلاج كان اقسي من الدواء ، ومات وخلف تركة مثقلة بالأعباء لمن يأتي بعده . (18)

وبعد وفاة يزيد بايع الناس ابنه معاوية (*2) وكان صبياً ضعيفاً لم يزد عهده على أربعين يوماً ، فلم يتمتع بالملك لمرضه ، وأنه فكر في ترشيح رجل للخلافة كما فعل أبو بكر الصديق مع عمر ، فلم يجد الرجل الذي يصلح لها ، فاقتدي بعمر بن الخطاب في جعل الأمر شورى في اختيار ستة يُنْتَخب الخليفة من بينهم رجلاً فلم يفلح ، فترك الأمر شورى للناس يولون أمرهم من يشاءون وقال لهم : فأنتم أولي بأمركم فاختاروا من أحببتم بعد أن صعد المنبر وقال : (يا أيها الناس ! إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ، ومن أحق به منه لقرابته لرسول الله صلي الله عليه وسلم وهو علي بن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته ، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه ، ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه واخلفه الأمل وقصر عنه الأجل ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه ثم بكي حتى جرت دموعه على خديه وقال : إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وأباح الحرم وخرب الكعبة وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم وأمركم ، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً ، ولئن كانت شراً فكفي ما أصبنا منها) ثم دخل منزله وتغيب حتى مات بعد أيام . (19)

---

(18) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 242 .

(*2) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وكان يلقب بابي عبد الرحمن ، وكان شاباً ورعاً تقياً ،عهد إليه أبوه بالخلافة ولم يمكث فيها طويلاً أربعين يوماً ، وتوفي له احدي وعشرين سنة .
– السيوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص 239 .

(19) حسن, إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص 235– 236 .

ت/ اختيار مروان بن الحكم خليفة :-

اجتمع بنو أمية في دمشق في ظل انقسام العالم الإسلامي لإنقاذ خلافتهم بعد تفرق الأسرة الحاكمة فالحزب اليمني بقبيلة كلب (*) النافذة في البلاط الأموي ، وهو عصب الدولة ، وقوتها بزعامة حسان بن مالك (*1) الذي كان متشدداً في الحفاظ على امتيازاته ، فقد تمسك بالأمويين ، وخشي مناصروه انتقال الخلافة إلي الحجاز (*2) بعد أن ظلت في الشام منذ أن نقلها معاوية ، أما الحزب القيسي الذي استاء من محاربة يزيد لأهل المدينة ، وصل مع زعيمه الضحاك بن قيس (*3) إلي مكان كادت تنافس الحزب اليمني ، ومنحته الأحداث السياسية بعد وفاة معاوية الثاني مركزاً متقدماً من خلال منصبه كأمير ببلاد الشام ، حيث أتيح له أن يملأ الفراغ بصورة غير رسمية وفي الوقت نفسه وجد القيسيون في ظل تفكك الأسرة الأموية وفي دعوة ابن الزبير لهم فرصة أخري مكنتهم من التغلب على الكلبيين وانتزاع مواقع القوة منهم ، فأعلن الضحاك ولاءه لابن الزبير والذي عينه ممثلاً له في بلاد الشام .[20]

(*) قبيلة كلب وهم بنو كلب بن ثعلبه بن حلوان بن عمران ، نزلوا في الجاهلية بدومه الجندل وأطراف الشام بحثاً عن المراعي والكلأ ومن مشاهيرهم حارثة الكلبي والد زيد بن حارثة مولي الرسول صلي الله عليه وسلم .

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية، 1325هـ ، ج 1 ، ص 155 .

(*1) حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف زعيم بني كلب في الشام ، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، توفي 80هـ / 699 م .

- ابن عساكر، أبو القاسم بن علي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد، دار الفكر، بيروت، 1996م، ج 12 ، 448 .

(*2) الحجاز سمي بالحجاز لأنه حجز بين نجد والسراة واهم مدن الحجاز المدنية وخيبر وفدك .

- الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سبق ذكره ، ص 188 .

(*3) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب ، ولد قبل وفاة النبي صلي الله عليه وسلم بست سنين ، روي عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب ، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، ولاه معاوية الكوفة ، ثم نقله إلي ولاية دمشق وظل بها حتى وفاة يزيد بن معاوية وبعدها بايع ابن الزبير ، وحارب مروان في مرج راهط وقتل فيها64هـ / 684م .

- ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 394 .

(20) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 336 .

- عوض الله ، الشيخ الأمين محمد، تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سبق ذكره ، ص 59 .

هذا وتفرقت كلمة الأمويين ، وتنافسوا على منصب الخلافة ، فتوزعت ولاءاتهم بين ثلاثة مرشحين : المرشح الأول هو خالد بن يزيد بن معاوية (*) وكان المؤيد له حسان بن مالك ، والمرشح الثاني هو مروان بن الحكم (*1) وكان معظم مؤيديه من القادة ، والمرشح الثالث هو عمر بن سعيد بن العاص (*2) الذي سانده فريق ثالث ، وأخيراً اتفقت عدول بني أمية على عقد مؤتمر الجابية (*3) ليتداولوا ويتشاوروا فيمن يولونه الخلافة ، فترأس هذا المؤتمر حسان بن مالك ، وقد كان مروان هو الأوفر حظاً نظراً لكبر سنه وتجربته ، حيث اختير خليفة بإجماع الحاضرين ، وخرج الكلبيون مؤيدين ما تمخض عنه المؤتمر حيث اختير مرشحهم ولياً للعهد علي أن تكون الخلافة بعده لعمرو بن سعيد بذلك انتقلت الخلافة من الفرع السفياني إلي الفرع المرواني . (21)

(*) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، أبو هاشم الدمشقي ، مذكور بالعلم اشتغل بالطب والكيمياء والنجوم ، توفي 98هـ / 708م .

– الزركلي ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 300 .

(*1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان عاملاً على المدينة والحجاز في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، عقدت له البيعة في مؤتمر الجابية كان يتمتع بحكمة وسداد رأي وفصاحة وشجاعة ، وكان يجيد قراءة القرآن ، وروي أحاديث كثيرة عن الصحابة خاصة سيدنا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وعده ابن سعد من الطبقة الأولي من التابعين وهو من فقهاء المسلمين ، توفي 65هـ / 684م .

– شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مطبعة النهضة المصرية ، 1978م ، ج 2 ، ص 44

(*2) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، ولد 3هـ / 624م من الخطباء ، تولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، يكني بالأشدق، عارض عبد الملك بن مروان وثار ضده مطالباً بحقه في الخلافة ، فقتله عبد الملك بدمشق 70هـ / 690م .

– ابن عساكر، مصدر سبق ذكره، ج 46 . ص 29 .

(*3) الجابية هي موضع بين دمشق وطبرية .

– المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين ، التنبيه والأشراف ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1965م ، ج 3 ، ص 308 .

(21) ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1979 ، ج 4 ، ص 539.

ث/ معركة مرج راهط [*] :-

بعد أن تم اختيار مروان بن الحكم خليفة توجب عليه العمل علي حفظ الدولة الإسلامية من التفكك والتصدع فكانت أول معركة خاضها هي معركة مرج راهط التي كانت بينه وبين الضحاك بن قيس الفهري وأنصاره من قيس الذي عارض بني أمية وتخلف عن مؤتمر الجابية وأعلن مبايعة عبد الله بن الزبير فتأهب للقتال بعد انتهاء المؤتمر مما دفع مروان بن الحكم للتحرك نحوه لقمع معارضته ، وفي الوقت الذي ترك فيه الطرفان مرج راهط ثار أنصار مروان في دمشق وتغلبوا على عامل الضحاك وأخرجوه منها ثم استولوا على بيت المال وبايعوا مروان وأمدوه بالمال والرجال والسلاح فكان هذا النصر أول فتح لبني أمية وبعد هذه الحادثة التي عززت موقف مروان واليمانية – دارت معركة بين الطرفين اقتتلوا فيها قتالاً شديداً استمر عشرين يوماً فانهزم الضحاك وقومه ، وذكر أن مروان بن الحكم استخدم الخدعة لكي يوقع بالقيسية وذلك بعد أن دعاهم إلي الصلح واطمأنوا وجاءوا بدون أسلحة وغير مستعدين للحرب فهجم عليهم وهزمهم وانتهت هذه الموقعة بمقتل قائدها الضحاك بن قيس وحمل الي مروان وبلغ تعداد قتلي قيس في هذه الموقعة(3000) ثلاثة ألف قتيل(80) ثمانين منهم من أشراف أهل الشام ومن كبار قادة القيسية ، أما اليمانية فكان الانتصار بمثابة افتخار لهم على القيسية . [22]

ويبدو أن أسباب الهزيمة تتلخص في الاتي :

أولاً : استهانة عبد الله بن الزبير بهذه المعركة فلم يوليها اهتماماً ولم يمد قائده الضحاك بالسلاح الكافي الذي يمكنه من خوض المعركة .

ثانياً : لم يحضر ويشارك في هذه الموقعة كل أتباع عبد الله بن الزبير الأمر الذي اضعف قوة الجيوش الشامية التابعة لابن الزبير .

ثالثاً : لم يولي الضحاك بن قيس مدينة دمشق أهمية كبري بأن يترك بها قوة تحافظ عليها فلذلك سقطت بسهولة في أيدي أعوان مروان .

(*) مرج راهط ارض واسعة بنواحي مدينة دمشق ، بها كثير من النبات وترعي فيها الدواب بمختلف أنواعها .
– ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 5 ، 101 .

(22) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 45 .

رابعاً : اعتماد مروان على رجال وصفوا بالدهاء مما أدي إلي حسم موقف المعركة . [23]

ومن ايجابيات هذا الانتصار أعاد ملك بني أمية الذي كان مهدداً بالزوال وتحقق ذلك بمناصرة اليمنية ودخلت ولايات كان يسيطر عليها ولاة من القيسية مثل فلسطين(*) ومصر(*1) وغيرها تبعت للقيادة المروانية .[24]

ومن سلبياتها هذا الانتصار أدي إلي اندلاع الصراع بين القيسية واليمانية الذي طال معظم البلاد الإسلامية وتطور فأصبح نزاعاً مستمراً بين عرب الشمال وعرب الجنوب فامتد لهيب العصبية الى أقاصي البلاد التي وصلت إليها الفتوح العربية فيما قام به هؤلاء وأولئك من حروب أهلية ومعارك دموية خسر فيها الطرفان أعداداً مقدرة من الرجال. [25]

ج/تخلي مروان بن الحكم عن مقررات مؤتمر الجابية :-

ويحسب لمروان أنه في اقل من عام أعاد تأسيس الدولة الأموية واسترد الشام ومصر ، ترك لابنه عبد الملك(*) مهمة توحيد الدولة الإسلامية من جديد. [26]

---

(23) الطاهر ، أمين احمد ، الصراع اليمني القيسي في ولايات الدولة الأموية وآثاره السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية حنتوب ، جامعة الجزيرة ، 2009م ، ص 40 – 41 .

(*) فلسطين تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المنطقة الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط وتمتد من جبال طوروس إلي شبه جزيرة سيناء جنوباً تحدها من الشمال لبنان ، ومن الشرق سوريا والأردن وجنوباً مصر .

– الجوهري، يسري، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م، ص 110.

(*1) مصر ناحية مشهورة عرضها أربعون ليلة من مثلها ، طولها من العريش إلي أسوان عرضها من برقة إلي أيلية سميت بمصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي من أطيب الأرض تراباً ، ولا تزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض إنسان .

– القزويني ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 105 .

(24) الطاهر ، أمين احمد ، الصراع اليمني القيسي في ولايات الدولة الأموية وآثاره السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص 45 .

(25) المصدر السابق نفسه ، ص الطاهر ، ص 45 ، 46.

– حسن , إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره ، ج 1، ص 237 0

(*) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ولد في المدينة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونشا بها نشأة علمية وتتلمذ على كبار الصحابة وروي الحديث عن عبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، وروى عن أم المؤمنين أم سلمه وبريره مولاة عائشة ، وكان يكثر من مجالسه العلماء والصالحين ، تولي الخلافة بعد والده ، توفي 86هـ /705م.

– ابن سعد ، مصدر سبق ذكره ، ج 5 ، ص 223 .

– عوض الله ، الشيخ الأمين ، تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سبق ذكره ، ص 66 .

وبعد أن استقرت أمور الدولة السياسية والإدارية نسبياً فكر مروان أن يدير ظهره لاتفاق مؤتمر الجابية بشأن الخلافة من بعده الذي كان ، علي أن يأخذ البيعة لابنه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز [*1] الذي تركه بمصر وحتى لايفقد وقفة اليمانية دعا بزعيمهم حسان بن مالك وأقنعه مروان بخبرته الطويلة بأن الأصلح والأنفع للخلافة أن يولي ابنيه من بعده ليقطع الأمر على عمرو بن سعيد الذي ظل يعلن أن أمر الخلافة سوف يكون من نصيبه بعد مروان وكان حسان لا يرغب في أن يكون عمرو بن سعيد بعد مروان في الخلافة ولم يكتف حسان بتأييده في التخلي عن مقررات مؤتمر الجابية فحسب بل قال لمروان : " انا أكفيك عمراً " ، فلما اجتمع الناس عند مروان استأذنه وخطب فيهم : " إنه قد بلغنا أن رجالاً يتمنون أماني ، قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده " فقام الناس فبايعوا مسارعين غير متثاقلين ولم يبق منهم أحد . [27]

وهكذا نجح مروان في كسب زعماء الشام وجعلهم يلتفون حوله خاصة حسان بن مالك الذي كان من ابرز المؤيدين لخالد بن يزيد وقد أقنعهم بعدم قدرة خالد بن يزيد على التصدي لابن الزبير ، ومن ثم نجح في أقناعهم بالموافقة على البيعة لعبد الملك ثم عبد العزيز ، واعتبر ما تم في الجابية من العهد لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو بن سعيد ضرورة وقد زالت ، وبعد ذلك أخذ مروان يحقر من شأن خالد ليصرف أهل الشام عنه ، ودخل خالد بن يزيد على مروان يوماً فشتمه الأخير ، فخجل خالد ودخل على أمه وهي فاختة [*] وكانت قد تزوجت من مروان بعد وفاة أبيه – وأخبرها بما حدث فقالت له : لايعرفن ذلك منك واسكت فإنني اكفيكه ولما نام

---

(26) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 448.

(*1) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، تولي مصر سنة 65هـ / 684م ، وظل بها حتى وفاته في سنة86هـ/ 705م وكان ولي عهد أخيه عبد الملك .

– الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، مصدر سبق ذكره ، ص 70 .

(27) ابن الأثير الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 190.

– الطاهر،أمين أحمد ، الصراع اليمني القيسي في ولايات الدولة الأموية وآثاره السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص 52 .

(*) فاختة ابنه أبي هشام بن عتبة بن ربيعة ، تزوجها معاوية بن يزيد وأنجب منها خالد ، ولما توفي تزوجها مروان ابن الحكم بنصيحة من عمرو بن سعيد إذا قال له : أن الناس ينظرون إلي خالد فتزوج أمه فيكون في حجرك .

– الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 418 .

مروان وضعت على وجهه وسادة لم ترفعها حتى مات ولما علم عبد الملك ابنه بذلك أراد أن يقتلها ، فأشير عليه بالعدول عن رأيه حتى لا يتحدث الناس عن امرأة قتلت أباه فيلحق به العار. (28)

ح/ عبد الملك وجهوده في استقرار الدولة :-

ولي عبد الملك الخلافة في وقت كان العالم الإسلامي يسوده الاضطراب ، فكادت شمس الدولة الأموية تشرف على المغيب فانتشلها من الفوضى ، وأقام صرحها على أسس قوية لم يسبقه إليها من جاء قبله من الخلفاء حتى اعتبر بحق وحقيقة المؤسس الثاني للدولة الأموية ، ووصف عبد الملك بأنه كان من عقلاء الرجال ودهاتهم وأكثرهم حزماً وشجاعة وإقداماً ، وقد اثبت كفاءة عالية في إدارة الدولة وسياستها ، وكان لا يهاب ويمضي نحو هدفه بعزيمة ثابتة ، ولم يكن يعرف اليأس ، ولا يتردد في قيادة المعارك بنفسه ، ولقد استطاع بعد جهود جبارة أن يعيد الوحدة ويجمع شمل الأمة الإسلامية ، وأن يصفي خصومه الواحد بعد الأخر ، بالصبر والمثابرة .(29)

وعندما بويع عبد الملك بالخلافة كانت الدولة الإسلامية مقسمة على ولاءآت ثلاث وهي :

- دولة عبد الملك وتشمل الشام ومصر.
- دولة عبد الله بن الزبير وتشمل الحجاز والعراق .
- ثم ظهرت قوة الخوارج (*) . (30)

ولقد برهن عبد الملك عن فهم عميق لطبيعة الصراعات ، ومن ثم أتقن فن التعامل معها ، وتمكن في النهاية من القضاء عليها ووضع لنفسه خطة ذكية ، وهى ترك

---

(28) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م ، ج 4 ، ص 418 .

-حسن (الدكتور) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ج2 ، ص 238 .

(29) طقشوش ، محمد سهيل ، مرجع سبق ذكره ، ص 67 .

(*) الخوارج أول من خرج على الأمام على بن أبي طالب وكانوا معه في صفين وأشدهم خروجاً عليه الأشعث بن قيس ومسعر بن كدكي وزيد بن حسن وهم الذين حملوا الإمام على رضي الله عنه على التحكيم ولم يرضوا بذلك ،

– الشهرستاني ، حمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثامنة ،2006م ، ص 106 – 107 .

(30) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، العالم الإسلامي في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره ، ص 156 .

هذه القوي تتصارع فيما بينها ، ومن يبقي في نهاية الأحداث يكون قد ضعف ويسهل القضاء عليه ، ذلك أنه أدرك أن هذه القوي جميعاً لايجمعها هدف واحد سوى العداء لدولته وكان بينها جميعاً تناقضات واختلافات في المبادئ والأفكار والأهداف فالخوارج لهم أهدافهم الخاصة ، وهم يخالفون عبد الله بن الزبير في أفكاره وأهدافه ، ولذلك عندما رأي عبد الملك تصاعد قوة ونفوذ المختار بن أبي عبيد (*) في العراق خصوصاً بعد هزيمته لجيش عبد الله بن الزبير وقتل قائده عبيد الله بن زياد (*1) لم يتحرك عبد الملك لضرب المختار والثار لهزيمة جنده ، وإنما ترك هذه المهمة لآل الزبير لأنه كان على يقين أن نفوذ المختار في العراق سوف يصطدم بنفوذهم ، ومن ثم فلن يتركوه ، وصدق ما توقعه عبد الملك فقد تحرك مصعب بن الزبير (*2) وتخلص من المختار وقضي عليه ، ورأي عبد الملك بعد ذلك أنه تخلص من احد خصميه الخطيرين دون أن يبذل جهداً . (31)

وبعد التخلص من المختار رأي عبد الملك أن الوقت قد حان للتخلص من آل الزبير والقضاء على دولتهم ولم يترك هذه المهمة لأحد غيره ، بل قاد جيشه بنفسه وسار إلي العراق وتمكن من هزيمة مصعب بن الزبير وقتله ، و أرسل إلي عبد الله بن الزبير بعد ما عاد من هزيمة مصعب بن الزبير قائده الشهير الحجاج بن

(*) المختار بن أبي عبيد الثقفي ولد في السنة الأولي للهجرة ، نادي بثار الحسين بن علي رضي الله عنه ، اتخذ إبراهيم بن الاشتر حليفاً له للقضاء علي أعدائه ، قتل على يد مصعب بن الزبير ، 67هـ / 686م .

– ابن عبد البر ، يوسف عبد الله ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، حققه علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1412هـ ، ج 1 ، ص 450 .

(*1) عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولد بالبصرة ، كان مع والده بالعراق ، ولما توفي والده ولاه معاوية بن سفيان خراسان ثم عمل بالبصرة ، قاتل الخوارج ، قتل علي يد إبراهيم بن الأشتر في موقعة الخاذر التي دارت بين الشيعة والأمويين 67هـ / 686م .

– المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 79 .

(*2) مصعب بن الزبير بن العوام ، أمه الرباب بنت أنيف بن عبيد ، ولاه عبد الله بن الزبير العراق عندما عاد بنو أمية ، هزم الشيعة بزعامة المختار الثقفي ، وكان من القواد الشجعان ، قتل على يد عبد الملك بن مروان 72هـ / 691م .

– ابن سعد، الطبقات، مصدر سبق ذكره، ج 5، ص 139 .

(31) الحموي، مصدر سبق ذكره، ج 3 ، ص 409 .

– عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سبق ذكره ، ص 68 .

يوسف الثقفي [*3] للقضاء عليه ونجح في ذلك في 72هـ / 691م وهكذا قضي عبد الملك على اخطر خصومه . [32]

وبعد ذلك اهتم عبد الملك بن مروان اهتماماً خاصاً بإدارة شئون الدولة ، وقد تمثل ذلك في التحول من دائرة لا تتجاوز أفاق المجتمع القبلي إلي إطار المؤسسات الإدارية ، والحقيقة أن عبد الملك لم يكن رائد هذا الإصلاح الإداري في الدولة الإسلامية ، ولكنه تابع خطوات كان قد بدأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم معاوية بن أبي سفيان ، لكن شهرة عبد الملك الإدارية مبعثها أن إصلاحاته برزت في مجالين هما تطوير الجهاز الإداري وتنشيطه ، وتعريب الإدارة والنقل وهو ما عرف بحركة التعريب [33] .

وخلاصة ما تقدم يمكن القول إن انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلي الفرع المرواني لم يكن بالأمر السهل وإنما كان أمراً احتاج إلي حكمة وحنكة في نفس الوقت ويمكن القول أيضاً إن الظروف قد ساعدت في ذلك الانتقال وفي فترة لم تكن بالطويلة ولكن كانت أحداثها بارزه ، وبعد ذلك عمل مروان بن الحكم الذي قام بدور بارز ومؤثر في نقل هذه الخلافة إلي أبنائه من بعده وكان ذلك بموافقة الجميع على ما قام بصنعه واستعان برجال كانت لهم خبرة كبيرة و كلمة نافذة في قومهم .

(*3) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم ولد في الطائف ، تعلم القرآن والحديث والفصاحة ، ويكني أبا محمد وكان رقيق الصوت ، قاتل عبد الله بن الزبير في خلافة عبد الملك بن مروان ، وتولي إمارة الحجاز والعراق ، وكان الحجاج معظماً للقرآن ومحباً للشعر ، ولكنه سفك كثيراً من الدماء توفي 95هـ / 614م .

– ابن الطقطقي ، محمد بن على ، الفخري في الآداب السلطانية في الدولة الإسلامية ، دار صادر للطباعة والنشر ، 1960 ، ص 123 .

(32) عوض، الشيخ الأمين محمد، تاريخ الدولة الأموية، مرجع سبق ذكره، ص 69 .

(33) عوض الشيخ الأمين محمد ، تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سبق ذكره ، ص 95 .

الفصـــــل الأول

الوليـــد منـــذ ولـــد إلـــى أن ولـــي الخلافة

50/86هـ - 670 – 705م أ /

مولده ونشأته:-

ولـد الوليد بن عبد الملك في خلافة معاوية بن أبـي سفيان رضـي الله عنـه في سنة 50 هـ/ 670 م في المدينة المنورة حيث كان يقيم والده بها ، ثم انتقل مع والده إلي بلاد الشام بعد أن أعلن عبد الله بن الزبير الدعوة إلي نفسه بالخلافة عام 64هـ / 683 م ، وكان عبد الملك بن مروان أثناء وجوده بالمدينة المنورة ينهل من علمائها وفقهائها ويكثر من مجالستهم فتأدب بآدابهم وقد تواترت الأخبار عن فقهه وغزارة علمه ورجاجة عقله فأشتهر بالحزم وأصالة الرأي ، وقد تولي القضاء والفتيا في المدينة المنور بعد زيد بن ثابت (*). (1)

نشأ عبد الملك رجل دولة ولهذا كان حريصاً على تربية أبنائه تربية صحيحة وإعدادهم لجسام الأمور وخاصة أكبر أبنائه الوليد الذي اهتم بتدريبه على أمور السياسة وفنون القتال بجانب أنه كان يحثه دوماً على تعلم أساليب الحرب وحذق اللغة العربية لأنه كان يعلم تمام العلم أنه لا يلي العرب إلا من يحسن ويتقن لغتهم ، وكان يُعدُّ الوليد لأمر الخلافة منذ وقت مبكر ، وعلى الرغم من ذلك وصف بعدم الفصاحة واللحن (2) والذين وصفوا الوليد بعدم الفصاحة استندوا إلي الخطبة التي ذكر فيها قوله تعالى: (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) (*1) فضم التاء في ليتها ، وكان عمر بن عبد العزيز (*2) موجوداً فقال ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وذكر أن

(*) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار بن ثعلبة ، الإمام الكبير و مفتى أهل المدينة ، أبو سعيد وأبو خارجه وهو من كتاب الوحي، حدث عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن صاحبيه وله مناقب كثيرة .

- الذهبي، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 426 -427.

(1) ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر سوريا، 1989م، ص 150.

(2) المصدر نفسه، ص 151.

(*1) سورة الحاقة الآية (27) .

(*2) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد في حلوان سنة 63هـ - 682م وقيل بالمدينة المنورة ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان فقيهاً حفظ القرآن في صغره ، وكان حجة العلماء و من المقربين إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فزوجه ابنته فاطمة ، تولى إمارة المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وتولي خلافة المسلمين بعهد من سليمان بن عبد الملك فمكث بها سنتين وخمسة أشهر ، ملأ الأرض خلالها عدلاً ورد المظالم ، توفى 101هـ / 720م .

- السيوطي مصدر سبق ذكره ، ص 228-232.

عبد الملك قال لرجل : (إنك لرجل لولا إنك تلحن) فرد عليه الرجل أن ابنك الوليد يلحن فقال له عبد الملك : (لكن ابني سليمان (*) لا يلحن) فرد عليه الرجل ثانية لكن اخى فلان لا يلحن ، أذن كان اللحن عند العرب غاية في القبح من الكلام ، وسبب لحن الوليد أن أبويه كانا يترفانه ولذلك كان لا يحسن العربية ، وفى ذات مرة أراد عبد الملك أن يعهد إليه بالخلافة ثم توقف وذلك لأنه لا يحسن العربية وسمع الوليد بذلك وجمع جماعة من أهل النحو وأقاموا معه ستة أشهر وقيل سنة وخرج اجهل مما كان عليه وقال عبد الملك في ذلك : لقد أجهد وأعزر وقد اضر بالوليد حبنا له ويعني بذلك أنه لم يرسله إلي البادية ليتعلم الفصاحة بين الأعراب . (3)

ومما يروي عن حرص عبد الملك على تأديب أبنائه أنه أوصي مؤدب أولاده بوصية كانت جامعة لمكارم الأخلاق فطلب منه أن يعلمهم الصدق كما يعلمهم القرآن ، ويجنبهم السفلة فأنهم أسوأ الناس رغبة في الخير ويجنبهم الحشم فإنه لهم مفسدة ، وأن يحف شعورهم لتغلظ رقابهم ، وأن يطعمهم اللحم ليقووا ، ويعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، وكما أوصاه أن يأمرهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً وإذا احتاج أن يتناولهم فعليه أن يتناولهم بأدب علي أن يكون ذلك في سر بينه وبينهم حتي لا يعلمه احد من الناس فيسخروا عليهم ولذلك كان عبد الملك حريصاً على هذه الوصية لمؤدب أبنائه ويلاحظ في هذه الوصية إنها أشبه بالتعليمات التي يريد عبد الملك أن يسير عليها أبناؤه. (4)

- عبد اللطيف، عبد الشافي ، مرجع سبق ذكره ، ص 169.

(*) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم يكني بأبي أيوب وصف بالفصاحة ، نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس ، بويع بالخلافة بعد وفاة الوليد بدمشق سنة 96هـ – 715م ووصف عهده بالخير والصلاح لأنه رد المظالم واخرج المسجونين بالبصرة كانت خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وهو سابع خلفاء بني أمية ، توفي 99هـ / 718م بعد أن عهد بالخلافة إلي ابن عمه عمر بن عبد العزيز .

- ابن الطقطقي ، مصدر سبق ذكره ص 48 .
- ابن قتيبة ، المعارف ، مصدر سبق ذكره ، ص 203.

(3) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، تحقيق أحمد جاد ، دار الجيل ، بيروت 1989م ، ج 8، ص 172.

- حسن، إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره، ج1، ص 300.

(4) ابن كثير ، مصدر سبق ، ج 8 ، ص 68 .

كان الوليد يلقب بأبي العباس ، وكان به أثر جدري خفي كما كان أفطس الأنف ، متبختراً في مشيته ، وكان جميلاً في منظره طويلاً ، أسمر اللون ، كما كان جباراً عنيداً ، ظلوماً غشوماً وخلف من الولد أربعة عشر ذكراً منهم يزيد (*) وإبراهيم (*1) ، وكان يدعي فارس بني مروان لشهامته ، و نقش علي خاتمه (ياوليد إنك ميت) فكان كلما هم أن يخلع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعلها لأحد أبنائه قلب الخاتم وقرأ (إنك ميت) فيتراجع عن ما هم بفعله ويقول : (لا والله لاخالفت ما أمرني به أبي) .(5)

من جانب آخر أخذ الخلفاء الأمويون أنفسهم بتلاوة القرآن وختمه من وقت لأخر وقد شب الوليد على حب القرآن الكريم والإكثار من تلاوته وحث الناس على حفظه وإجازتهم على ذلك ، وقيل إن الوليد بن عبد الملك سأل رجلاً في كم تختم القرآن ؟ فقال الرجل : في أسبوع أو أسبوعين فقال : أمير المؤمنين على شغله يختمه في ثلاث وقيل في سبع وكان يختم في شهر رمضان سبعة عشر ختمه وكان يعطى قطع الفضة وتقسم على حفظة القرآن .(6) ويروي أن رجلاً سأل الوليد قضاء دين عليه ، فقال: نعم إن كنت مستحقاً لذلك فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي ؟ فقال أقرأت القرآن ؟ قال لا ، قال أدن منى فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان

(*) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو خالد ، لقب بالناقص ، وذلك لأنه نقص الجند من أعطياتهم ، أمه بنت فيروز بن يزدجر أحد الملوك بالشام ، تولي خلافة المسلمين في 126هـ / 744م ومات في ذي الحجة من نفس العام بالطاعون ، وقيل إنه مات مسموماً فكانت ولايته خمسة أشهر فقط .

- السيوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص 252 .

(*1) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو إسحاق ، أمه أم ولد اسمها نعمة وقيل خشف ، بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد في ذي القعدة 126هـ / 744م وصف بالعجز وضعف الرأي ، وكان إتباعه يسلمون عليه تارة بالإمارة وتارة بالخلافة ، ظل في الخلافة سبعين ليلة فقط ، خلعه مروان بن محمد فأضطر إلي مبايعته وظل حتى 132هـ / 750 م حيث قتل فيمن قتل من بني أميه من قبل بني العباس .

- ابن خلكان ، شمس الدين محمد بن حمد ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1994م ، ج 1 ، ص 443 .

- السيوطي ، مصدر سبق ، ص 254 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 80 .

(6) المصدر السابق نفسه ، ج 12 ، ص 607 .

في يده وضربه ضربات بالقضيب ، وقال للرجل ضم إليك هذا ولا يفارقك حتى تقرأ القرآن ، وقام إليه رجلاً أخر من بني أميه فقال يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً ، فقال : أقرأت القرآن، قال نعم ، فاستقرأه عشر آيات من سورة الأنفال وعشر آيات من سورة براءة ، فقرأ ، فقال : نعم نقض عنكم ، ونصل أرحامكم على هذا. (7)

ب/ أم البنين (*) زوجة الوليد بن عبد الملك :

كانت أحدي فضليات النساء في عهدها ووصفت بأنها دائمة الذكر لله تعالى موصولة القلب بكتابه الكريم تتعاهد القرآن الكريم صباحاً ومساء فلا تكاد تري إلا وهي تالية للقرآن خاضعة لذكر الله ، وكانت تسابق زوجها الوليد في تلاوة القرآن ولها مواقف وأقوال محمودة منها :

خشيتها لله عز وجل وكانت تختلف عما كانت عليه عامة النساء ، فإذا ما ذكر الله عز وجل استشعرت خشيته ومهابته في قلبها ورأت بنور بصيرتها أن السعداء هم الذين يخافون الله عزَّ وجلَّ ومن أقوالها : ما تحلي المحتلّون بشيء أحسن عليهم من عظيم مهابة الله عزَّ وجلَّ في صدورهم وكانت تتقرب إلى الله بكل ما يرضيه ويقربها إليه وكانت تعتق في كل جمعة رقبة في سبيل الله .(8)

وبلغت درجة عالية من الورع والخوف من الله تعالى فكانت تتحري أمورها بدقة كبيرة فلا تكاد تقبل عرضاً أو مالاً جاء إلا من طريق مشروع وترفض كل هدية جاءت من غير مصدر شرعي ، ومما يحكي عن جودها وكرمها قيل لها يوماً : ما أحسن شيء رأيت ؟ قالت : نعم الله مقبلة عليّ ، ومن أقولها أيضا في ذم البخل والبخلاء : ولو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا

---

(7) الطبرى، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 397 .

(*) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك ، وابنة عمه ، نشأت على شرف النفس ومضاء القلب ، وعلو المنزلة ، ومن أقوالها : لا ينال الخير الإ بفعل الخير ، وهي القائلة:

ماحسدت أحداً قط على شيء إلا أن يكون فاعل معروف فإني أحب أن أشركه في ذلك .

- المصطاوي ، عبد الرحمن ، انساب النساء ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى 2002 م ، ص 33.

(8) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 143 .

سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيماً، ومن أخبار جودها أنها كانت تدعو النساء إلى بيتها وتكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير وتقول الكسوة لكّن والدنانير اقسمها بين فقرائكن – تريد بذلك أن تعلمهن وتعودهن على البذل والجود وكانت تقول :البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة ، يبدو أن أم البنين قد أحبت بذل المال وإنفاقه في طرق مشروعه لتشعر بنعمة الله عليها ولم تكن الدراهم والدنانير تعرف إلى بيتها سبيلاً وسرعان ما تنفقها ، وكانت تقول : جعل لكل قوم نهمة في شيء وجعلت نهمتي في البذل والعطاء والله أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع ومن الشرب البارد على الظمأ. (9)

ويذكر لما قدم الحجاج بن يوسف على الوليد بن عبد الملك بعد ما ولي الخلافة وكان في نزهة فاستقبله الوليد فلما رآه ترجل وجعل يمشي فقال له الوليد اركب فرد عليه بأن يدعه يستكثر في الجهاد وقال : أن ابن الزبير وابن الأشعث (*) قد شغلاه عن الجهاد ، ودخل الوليد داره وأذن للحجاج ودخل عليه بنفس الملابس الحربية ، فخافت أم البنين على الوليد من الحجاج فأرسلت له تسأله عن الإعرابي المتسلح بالسلاح عنده ، فبعث إليها الوليد أنه الحجاج ، فأعادت إليه الجارية فقالت تقول لك : والله لئن يخلو بك ملك الموت أحياناً أحب إليّ من أن يخلو بك الحجاج ، فأخبره الوليد وهو يمازحه ، فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن في الأمور وأكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن ، فإن ذلك أوفر لعقلك

---

(9) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 399 .

(*) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي من زعماء قبيلة كندة اليمانية عمل تحت قيادة الحجاج بن يوسف في العراق فكلفه بقتال الخوارج سنة 76هـ / 695 م ثم ولاه سجستان وأمره بقتال الأتراك بزعامة رتبيل ، وابن الأشعث له قصة في كتب التراث الإسلامي عرفت بفتنة ابن الأشعث ، وتعد من أخطر الثورات التي هزت عرش بني أمية أبان خلافة عبد الملك ، قتل 85هـ / 704م .

– المسعودي ، التنبيه والأشراف ، مصدر سبق ذكره ، ص 314 .

وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج وخرج ، ودخل الوليد على زوجته وأخبرها بما قاله الحجاج فطلبت أم البنين من الوليد أن تقابل الحجاج . (10)

وفي اليوم التالي أتاها الحجاج ، فحجبته فلم يزل قائماً ولم تأذن له بالجلوس وقالت له: (إيه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن ذات النطاقين(*) وابن الأشعث ، أما والله لولا أن الله علم انك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتال ابن الزبير أول مولود في الإسلام بعد الهجرة ، وأما ابن الأشعث فقد أكثر عليك الهزائم ، حتى لجأت إلي أمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأظلتك رماحهم ، وانجاك كفاحهم وطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبعنه في الأسواق في أرزاق البعوث إليك ولولا ذلك لكنت أذل من النقد ، وأمَّا ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ اوطاره من نسائه فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك ، وأن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فأنه غير قابل منك ولا مستمع إلي نصيحتك ، وذكرت له قول الشاعر :

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة *** فزعاء تفزع من صفير الصافر

هلا برزت الي غزالة في الوغي *** بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم قالت لجواريها أخرجنه عنيّ ، فدخل الحجاج على الوليد فقال له : يا أبا محمد ما كنت فيه؟ فرد الحجاج والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلىّ من ظاهرها، فضحك الوليد ثم قال: يا أبا محمد أنها بنت عبد العزيز. (11)

---

(10) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 205 .

(*) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخت عائشة أم المؤمنين من أبيها وكانت رضي الله عنها تدعى (بذات النطاقين) لأنها شقت نطاقها إلى قسمين لتستخدمه في ربط ونقل الطعام والشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هجرته – صلى الله عليه وسلم – مع أبي بكر الصديق من مكة إلى المدينة ، فلما رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما فعلته بنطاقها لقبها بذات النطاقين

- الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص290 .

(11) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 168 .

ت/ محاولات عبد الملك لتوريث الخلافة :-

سن معاوية بن أبي سفيان المؤسس الأول لدولة بني أمية فكرة أمر البيعة لأبنائه فأصبحت نهجاً سار عليه الخلفاء من بعده وكان عبد الملك من ضمن أولئك الذين اقتفوا نهج معاوية في أمر ولاية العهد فعهد بها لابنيه الوليد وسليمان من بعده ، فتباينت الروايات حول خلع عبد الملك لأخيه وولي عهده عبد العزيز بن مروان فذكرت إحداها أنه عندما فكر في توريث الخلافة من بعده لابنه الوليد كتب إلي أخيه عبد العزيز راجياً منه التنازل عن ولاية العهد غير إن الاخير رد عليه قائلاً : (إني وإياك قد بلغنا من العمر لم يبلغه احد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه في هذه الدنيا قليل وإنّا لا ندرى أيّاً يأتيه الموت أولاً فأن رأيت إلا تفسد علىَّ بقية عمري هذا فافعل) قال عبد الملك: والله لا أفسد عليه بقية عمره وفي قول عبد الملك إشارة إلي إنه رق قلبه مما قاله عبد العزيز له ، ولكن على الرغم من رقة القلب التي انتابت عبد الملك إلا أنه كان دوماً يفكر في تأمين حياة أبنائه وتوريث الخلافة لهم ، وكان كثير التفكير والاستشارة لبعض رجاله حول خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد فاستشار قبيصة بن ذؤيب (*) الذي لم يوافقه في ما كان ينوي به تجاه أخيه عبد العزيز ونصحه بأن ذلك سوف يجلب له صوت العار وطلب منه ترك الأمر عسي الليالي أن تسعفه بما يصبو له ويحقق مقصوده فوافق عبد الملك على ما دله عليه قبيصة بن ذؤيب .(12)

(*) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب ، ولد في أول سنة من الهجرة ، يكني أبا اسحق ، روي عن أبي الدرداء ، وأبي هريرة ، وزيد بن ثابت ، وروي عنه الزهري ، وكان من العلماء المشهورين ، وقيل إنه أتي به وهو صغير إلي النبي صلي الله عليه وسلم ودعا له ، توفي 86هـ / 705 م .

- ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 403 .

(12) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 313.

- الخربوطلى ، علي حسين ، الدولة العربية الأموية ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة، 1960م ، ص 223.

- ضرار ، صالح ضرار ، العرب من معين إلي الأمويين ، الدار السودانية للكتب ،الخرطوم ،1998 م، ص 131 .

ويقال إن قبيصة كان جالساً مع عبد الملك بن مروان فدخل عليهما روح بن زنباع [*] وكان يري بعدم خلع عبد العزيز أيضاً من ولاية العهد لأنه يري أن عبد العزيز أصبح رجلاً كبير السن وربما يأتيه الموت فيستريح منه وبعد كل ذلك وافق عبد الملك على عدم خلع أخيه من ولاية العهد وقبل بالنصائح التي سمعها وبعد مدة زمنية قصيرة من ذلك الحديث دخل قبيصة على عبد الملك يخبره بوفاة أخيه عبد العزيز وقال : أجارك الله في أخيك عبد العزيز ، فرد عبد الملك هل توفي ؟ فقال : قبيصة نعم يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل عبد الملك على روح بن زنباع وقال له : كفانا الله ما كنا نريد يا أبا زرعه ، وقيل إن عبد الملك بكي عليه.[13]

ويذكر أن الحجاج بن يوسف هو الذي أشار على عبد الملك بفكرة توريث الخلافة لأبنائه، لكن عبد الملك لم يقبل ذلك الاقتراح من الحجاج فرد عليه (مالك أنت والتكلم بهذه) ويبدو أنه كان يقصد من ذلك بأن توقيت الحجاج من إثارة وتحريك هذا الموضوع لم يكن مناسباً ، أو أنهما كانا متفقين على ذلك ، وأن الفرصة لم تأت بعد في نظر عبد الملك ، وربما كان الحجاج يؤمن بتوريث السلطة للأبناء لاعتقاده أن ذلك يوفر الاستقرار للدولة .[14]

وبعد وفاة عبد العزيز بن مروان قال عبد الملك (.. رحم الله عبد العزيز فقد مضي إلي حال سبيله ولابد للناس من علم يسكنون إليه وقائم يقوم بأمرهم من بعدي فما تري يابن يزيد [*1]) فقال : يا أمير المؤمنين : سيد الناس وأرضاهم الوليد بن أمير المؤمنين فقال عبد الملك وفقك الله فمن تري بعده : فأشار إلي سليمان فقال

(*) روح بن زنباع بن علامة بن حداد بن أمية بن أمري القيس بن حمامة بن وائل يكني أبا زرعه ينتهي نسبه الى كهلان بن سبا ، كان لابيه صحبه مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حدث روح عن أبيه وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وعباده بن الصامت ، أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، شهد مرج راهط مع مروان بن الحكم ، وكان من المقربين لعبد الملك بن مروان ، وكان يعد احد زعماء الشام وكان عبد الملك يستشيره في جميع أموره توفى 84هـ / 703م.

- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 252.

(13) الخربوطلي ،مرجع سبق ذكره ، ص 223 .

(14) أحمد، الأمين عبد الرحيم، مصدر سبق ذكره، ص 89.

(*1) محمد بن يزيد الأنصاري ، قدم دمشق واستكتبه عبد الملك بن مروان ، وروي عنه أبو داؤد بن أبي هند ، بعثه سليمان بن عبد الملك إلي العراق لفك سراح المسجونين الذين سجنهم الحجاج .

- ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سبق ذكره ، ج24 ، ص 277 .

:(صدقت ، أما أن تركت الوليد لوحده لجعلها لأبنائه ، أكتب عهداً للوليد ولسليمان من بعده). [15]

ثم كتب عبد الملك بالبيعة إلي ابنيه الوليد وسليمان في جميع البلدان فأجاب كل من في هذه البلدان عدا سعيد بن المسيب [*] الذي امتنع عن البيعة وذكر أنه لا يبايع لأثنين أي الوليد وسليمان وقال أحد الحاضرين لسعيد بن المسيب أدخل من هذا الباب وأخرج من الباب الأخر فرد عليه سعيد بن المسيب والله ليقتدي بي الناس وكانت حجة سعيد أنه لا يجوز أن يبايع لأثنين في آن واحد.[16]

وعندما أصر سعيد بن المسيب على عدم البيعة قال له عبد الرحمن بن عبد القاري[*1] (إني مشير عليك بخصال ثلاث : الأولى تعتزل مقامك فرد عليه سعيد ما كنت لأغير مقام قمته منذ أربعين سنة ، فقال له تخرج معتمراً فرد عليه سعيد ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس ليّ فيه نية فقال سعيد : فما الثالثة : قال عبد الرحمن تبايع ، فرد عليه سعيد أرأيت أن كان الله أعمي قلبك ، كما أعمي بصرك) وذكر أنه كان كفيفاً . [17]

---

(15) الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 234 .

(*) سعيد بن المسيب بن حرث بن أبي وهب بن عمرو بن عائز بن عمران بن مخزوم بن يقظة ، أبو محمد القرشي المخزومي ، ولد لسنتين مضتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة ، من علماء أهل المدينة ويعتبر سيد التابعين في زمانه ، حضر سيدنا عمر بن الخطاب وسمع عن سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا على بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبو موسي الأشعري وأبو هريرة والسيدة عائشة وأم سلمه وابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين وكان أحد الفقهاء السبعة ، وقيل إنه كان يجمع بين العلم والعمل حديثاً وتفسيراً وحج إلي بيت الله الحرام أربعين مرة ، وكان أحفظ الناس لا قضية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه توفى سنة 93هـ / 712م .

- الذهبي ، المصدر السابق نفسه ، ج 4 ، ص 231 .

(16) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 523 .

(*1) عبد الرحمن بن عبد القاري المدني، يقال له صحبه ، ولد أيام النبوة ، قال أبو داؤد جاءوا به إلي النبي صلي الله عليه وسلم ودعا له وهو صغير ، وقيل روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأبي طلحة وأبي أيوب ، وروي عنه السائب وعروة وابن الأعرج وابن يزيد .

- الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 15 .

(17) الصلابي ، علي أحمد ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2006م ، ج 2 ، ص 78 .

وعندما أصر سعيد على رفض البيعة ، كتب هشام بن إسماعيل (*) إلي عبد الملك ، والذي رد عليه : مالك وسعيد ما كان منه شقاق ولا شئ نكرهه أما إذا فعلت فأضربه ثلاثين سوطاً والبسه تبان (*1) وأوقفه للناس ، وفي ذلك يقول سعيد : والله لو علمت أنهم سيجلدونني ما لبسته أي التبان ولكني ظننت إنهم سيقتلونني . (18)

وقيل إن هشام بن إسماعيل هو الذي ضرب سعيد بن المسيب دون أن يكتب إلي عبد الملك بخبره والدليل على ذلك حديث عبد الملك لهشام عندما كتب إليه : والله سعيد أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وأنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف ، وقيل إن عبد الملك هو الذي كتب إلي هشام بأن يضرب سعيد والدليل على ذلك أن سعيد رفض تزويج ابنته إلي الوليد عندما خطبها له والده .(19)

وكانت لسعيد بن المسيب مواقف مع الخليفة عبد الملك وابنه الوليد ولكنه على الرغم من ذلك كان يحفظ لهم حقهم في الخلافة و يعترف لهم بإمرة المؤمنين سواء لعبد الملك أو لابنه الوليد ، ويتجلي ذلك بوضوح عندما دعاه حاجب عبد الملك فقال له سعيد : ما لأمير المؤمنين حاجة ، وكذلك قالها للوليد عندما قدم المدينة ودخل مع عمر بن عبد العزيز المسجد ولم يكن فيه غير سعيد فسأله الوليد عن حاله فرد سعيد الحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ، قال الوليد خير والحمد لله ، والأمر الأخر أن سعيد كان يصلي خلف والي المدينة هشام بن إسماعيل الذي عرضه للعقوبة سواء بأمره أم بأمر عبد الملك .(20)

وأيضاً رفض سعيد بن المسيب أن يدعو على بني أمية أو ولاتهم على الرغم بما حدث له منهم من جلد أو منع الناس من الجلوس إليه وهذا يظهر جلياً في حديثه :

(*) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قدم دمشق ، وتزوج عبد الملك ابنته ، ولاه المدينة المنورة وظل بها حتى خلافة الوليد الذي عزله عنها وولي مكانه ابن عمه عمر بن عبد العزيز .

– ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، مصدر سبق ذكره ، ص 124 .

(*1) تبان هو سروال صغير ، مقدار شبر يستر العورة المغلظة .

– الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 107 .

(18) الخضري بك ،الشيخ محمد، محاضرات في تاريخ الدولة الأموية، تحقيق الشيخ محمد العثماني، دار القلم بيروت، 1986م، ج 1، ص 169.

(19) الصلابي ، مرجع سبق ذكره ، ج 2 ، ص 80 .

(20) الصلابي ، مرجع سبق ذكره ، ج 2 ، ص 81 .

إنهم منعوا الناس مجالستي وجلدوني ، وهذا يوضح أدبه واحترامه وطاعته للحكام ، ومما كان يدعو به : (الله بيني وبين من ظلمني) ، أو دعاؤه الأخر (اللهم انصرني من هشام) .[21]

ومن أدبه أيضاً أنه لم يشغل نفسه ببني أميه أو بولاتهم أو حتى التعرض لهم بإثارة الناس ضدهم خصوصاً وأن مكانته العلمية تسمح بذلك وكما لم يدفع خلافه معهم أن يساند غيرهم من المعارضين ، وذكر أيضاً أنه كان يكره التقرب من الخلفاء ، لاسيما بني مروان ، وربما انتقد بعض العلماء الذين تقربوا للخلفاء والحكام وخالطوهم كأمثال قبيصة بن ذؤيب ، ولكنه رغم ذلك كان يحفظ للعلماء حقهم وهذا دليل على مدي أدبه وتقديره لكل إنسان ويضع له حقه ويجل من مكانته ويظهر من ذلك أنه كان يهتم بأن ينزل الناس منازلهم .[22]

ث/توليته الخلافة :-

عندما كان عبد الملك بن مروان في لحظاته الأخيرة أمر بفتح الأبواب في قصره ولما سمع صوت قصارٍ بالوادي قال ما هذا قالوا : قصاراً ، فقال ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ ذلك سعيد بن المسيب قال : الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم ، ولما حضره الموت جعل يندم ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت لو اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربي ، وقيل له لما حضره الموت : كيف تجدك ؟ قال : أجدني كما قال الله تعالي : (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)[*] .[23]

وخطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ، ثم قطعها وبكي بكاءً شديداً ، ثم قال: (يا رب ، إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهم فأمح بقليل عفوك

---

(21) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 526.

(22) الصلابي ، مرجع سبق ذكره ، ج 2 ، ص 81 .

(*) سورة الأنعام الآية (94).

(23) ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج 12، ص 396

عظيم ذنوبي) فبلغ ذلك الحسن البصري[*1] فبكي وقال : (لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام).[24]

وقال الشعبي[*] : خطب عبد الملك فقال : اللهم إن ذنوبي عظام وهي صغار في جنب عفوك يا كريم فأغفر ليّ.[25]

وجاء أبنه الوليد بباب المجلس فوجد معه بعض النساء، فقال : كيف أصبح أمير المؤمنين قيل له يرجي له العافية وسمع عبد الملك ذلك فقال:

وكم من سائل عنا يريد لنا الردي *** وكم من سائلات والدموع زوارف

ثم أمر النساء أن يخرجن وأذن لبني أمية فدخلوا عليه وفيهم خالد بن يزيد بن معاوية ومعه أخوه فقال لهما : (يابني يزيد أتحبان أن أقيلكما بيعة الوليد ؟) قالا : معاذ الله يأمير المؤمنين ، قال : لو قلتما غير ذلك لأمرت بقتلكما علي حالتي ، وحينما كان عبد الملك في لحظاته الأخيرة التف حوله جميع أبنائه فجلس عند رأسه أكبر أبنائه الوليد وبكي على والده فنظر إليه عبد الملك نظرة تخفي وراءها موعظة جاء فيها (يا هذا أحنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك ، فمن أبدي لك ذات نفسه فأضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه).[26]

(*1) الحسن البصري بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولي زيد بن ثابت الأنصاري ، وكانت أمه مولاة لام سلمه أم المؤمنين المخزومية ويقال كان مولي جميل بن قطبة ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة واعتق وتزوج بها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب فولدت له الحسن لسنين بقيتا من خلافه عمر ، واسم أمه خيرة ثم نشأ الحسن بوادي القري وحضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب وشهد يوم الدار وله أربع عشرة سنه ، مات سنة 110هـ / 629م .

- الذهبي، مصدر سبق ذكره، ج 4 ، ص 580 .

(24) ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج 12، ص 391.

(*) الشعبي عامر بن شرحبيل بن عبد بن ذي كبار وذي كبار قيل من اليمن ، الأمام علامة العصر أبو عمر الهمداني كانت أمه من سبي جلولاء مولده في خلافة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها وقيل ولد سنه احدي وعشرين ، وقيل رأي علياً رضي الله عنه وصلي خلفه وسمع من عدد كثير من الصحابة وحدث عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبي موسي الأشعري وعدي بن حاتم وأسامة بن زيد وأبي هريرة وغيرهم وقيل سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، توفي الشعبي في سنة 104هـ / 623م ، وله اثنين وثمانين سنة .

- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سبق ذكره، ج 4، ص 296 .

(25) الذهبي، المصدر السابق نفسه، ج 4 ، ص 249 .

(26) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 170.

وذكر أيضاً أنه قال : (لا ألفينك إذا وضعتني في حفرتي أن تعصر عينيك كالأمه ، بل اتزر وشمر وادع الناس للبيعة ثانية فمن قال برأسه كذا أي معترضاً فقل بسيفك كذا).(27)

ثم أوصي عبد الملك أبناءه وقال : يا بني أوصيكم بتقوى الله ، فإن التقوى أزين حلية وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير منكم حق الكبير ، ثم أوصاهم بعدم الاختلاف لما فيه من التفرقة والضياع ، وإياكم والاختلاف والفرقة فإن بهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين ، يابني وانظروا أخيكم مسلمة (*)حفظه الله إذا قدم من أرض الروم فأعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله ، و أصدروا عن راية فإنه جُنّتكم الذي به تَسَتجنُون ، ونابكم الذي عنه تفترون ، كما أوصي أبناءه بأن يكرموا الحجاج بن يوسف الذي وطأ لهم البلاد ، وأذل لهم العباد ، وعقد لهم القناطر وداس لهم رقاب العرب وكفاهم المؤن وشدة الفتن ، وكما أوصاهم بأن يكونوا أعواناً في الحرب وأخواناً في المعروف ، وأن يلينوا في الشدة وحذرهم من التحاسد والبغي ، وكما ذكرهم أن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وأن المعروف يشيد ذكر صاحبه ، ويميل القلوب بالمحبة ويذلل الالسن بالذكر الجميل ، ولله در القائل :

إنَّ الامورَ إذا اجتمعنَ فَرامٌها ** بالكسر ذوخَنق وبطش معتدٍ

عزت فلم تكسر وأن هي بددت ** فالوهتن والتكسير للمتبدد(28)

---

(27) أبو النصر، عمر، الأيام الأخيرة للدولة الأموية، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت الطبعة الأولي، 1963م ص 69 .

(*) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميه بن عبد شمس الأموي القرشي روي عن عمر بن عبد العزيز ، وروي عنه معاوية بن حديد وكان أميراً وقائداً من أبطال عصره ، غزا القسطنطينية في عهد سيلمان بن عبد الملك ، تولي العراق وارمينيا في عهد يزيد بن عبد الملك ، مات سنة 120هـ / 733م.

– ابن عساكر مصدر ، سبق ذكره ، ج 58 ، ص29 .

(28) السيوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص 90

ثم واصل عبد الملك في وصيته لأبنائه الى أن ذكر لهم : وإني قد استخلفت عليكم ابني الوليد من بعدي فاسمعوا وأطيعوا ، فإن هلك فإبني سليمان ، فإن هلك فاختاروا من شئتم وأحببتهم من أولادي أو من خيار بني أمية ، ثم أجابه الوليد بهذه الأبيات :

إنـــي لمـــا أوصـــيتنيهِ لحافظـــُ ** أرعـــاهُ غيـــر مقصـــرِ فـــي المحتـــدِ

وأكـــونُ للأعـــداءِ ســـماً ناقعـــاً ** ولـــذي القرابـــة كالحميـــدِ الأيـــدِ

ولكـــل إخـــواني وجـــلّ عشيرتـــي ** ادعي المغيث في حفظه للمـتشهِد

وأقـــوم بعـــدك فـــي الرعيـــةِ بالـــذي ** أوصّـــيتني بهـــم بحســـن تـــودد

فأعجب عبد الملك مما قاله أبنه الوليد وخليفته وأطمأن على حال الدولة وعلى حال الرعية وإخوانه الذين ظل يوصيه عليهم باستمرار ، وقال له : أحسنت يأبني ! وأرجو أن تكون عند ظني بك . (29)

وتوفي عبد الملك بن مروان في عام 86هـ / 705م وصلي عليه ابنه وخليفته الوليد ونزل حفرته وقد سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم أسترسل قائلاً : لم أر مثلها مصيبة ، ولا مثلها نعمة ، فقدت الخليفة ، وتقلدت الخلافة فإنا لله إنا إليه راجعون على المصبية والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس إلي بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد (30) .

وأول من بايع الوليد بالخلافة هو عبد الله بن همام السلولي (*) ثم من بعده تتابع الناس في مبايعة الوليد بالخلافة ويذكر أن هشام (* 1) بن عبد الملك عندما توفي أبوه ذكر قول الشاعر

---

(29) ابن اعثم ، أبي محمد أحمد ، الفتوح ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986م ، ص 149 – 150 .

(30) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 58 .

(*) عبد الله بن همام السلولى من بني مرة ، اخو عامر بن صعصعة بن قيس وبنو مرة يعرفون ببني سلول لأنها أمهم وهي بنت ذهب بن شيبان .

– ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، طبع في ليدن 1902 م ، ج 2 ، ص 140 .

(*1) هشام بن عبد الملك بن مروان يكني بأبي الوليد ، بويع بالخلافة بعد يزيد 105هـ / 724 م وظل بها حوالي عشرين عاماً ، وصف بالحزم والقوة ، توفي بالرصافة 125هـ / 743 م .

– السيوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص 206 .

فما كان قيس هلكه هلك واحد *** ولكنه بنيان قوم قد تهدما

فلم يقبل الوليد ماذكره هشام وقال إلا قلت مثل ما قال الشاعر

إذا سيد مضي قام سيد *** قؤول لما قال الكرام فعول.(31)

وخلاصة لما سبق ظهرت سياسة عبد الملك لتوريث الخلافة لأبنائه من بعده كان الوليد يحب تلاوة القرآن كما نشأ علي حب وتعلم اللغة العربية وحذقها كما أوصاه والده كما كان يبر حفظة القرآن ويعاملهم معاملة خاصة ويقضي عنهم ديونهم.

---

(31) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 58 .

الفصـــــل الثاني

سياسية الوليد بن عبد الملك الداخلية

أ / إدارة الولايات:

بويع الوليد بن عبد الملك خليفة بعد وفاة والده الذي أرسي أركان الدولة وذلل كل المصاعب وترك ملكاً مستقراً هادئاً متحداً وكان الوليد خير من أستلم هذا الملك وأعظم من رعي هذا التراث ونماه وأهتدي بسيرة والده وعمل بالتوجيهات التي أختطها وأهتم بالجوانب التي تبرز قوة الدولة وهيبتها لذلك وقع إختياره على ولاة أكفاء قلدهم أمر الولايات لتنفيذ سياسيته فمنهم :.

1/الحجاج بن يوسف الثقفي :

ولد أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي بمدينة الطائف (*) ، وكان أسمه كليب ثم أبدله بالحجاج نشأ في الطائف وتعلم القرآن والحديث والفصاحة ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه يعلم الفتية القرآن والحديث ويفقههم في الدين لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا على الرغم من تأثيره الكبير عليه فقد أشتهر بتعظيمه للقرآن الكريم .[1]

كانت الطائف تلك الأيام بين ولاية عبد الله بن الزبير وبين ولاية الأمويين لكن أصحاب عبد الله بن الزبير تجبروا على أهل الطائف فقرر الحجاج الانطلاق إلى الشام حاضرة الخلافة الأموية المتعثرة التي تركها مروان بن الحكم نهباً بين المتحاربين .[2]

تختلف الأسباب التي دفعت الحجاج إلى اختيار الشام مكاناً ليبدأ طموحه السياسي علي الرغم من بعد المسافة بينها وبين الطائف وقرب مكة إليه لكن يُعتقد أن السبب الأكبر كراهيته لولاية عبد الله بن الزبير فبعد وصوله للشام التحق بشرطة الإمارة التي كانت تعاني من مشاكل جمة منها سوء التنظيم واستخفاف أفراد الشرطة

(*) الطائف مخلاف من مخاليف مكة بينها وبين مكة ستون ميلاً وقيل هي احد القريتين المذكورتين في القرآن .
- الحموي ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 379 .

(1) ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد ، دار مكتب الهلال القاهرة ، 1940م ، ص 45 .

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 46.

بالنظام وقلة المجندين فأبدى حماسة وانضباطاً وسارع إلى تنبيه أولياء الأمر لكل خطأ أو خلل وأخذ نفسه بالشدة فقربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه ورفع مكانته ورقاه فوق أصحابه فأخذهم بالشدة وعاقبهم لأدنى خلل فضبطهم وسير أمورهم بالطاعة المطلقة لأولياء الأمر.[3]

وحينما رأى فيه روح بن زنباع العزيمة والقوة الماضية قدمه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وكان داهية مقداماً جمع الدولة الأموية فأعاد تأسيس الشرطة التي كانت في حالة من الجمود والترهل وعدم الانضباط فطلب روح بن زنباع تعيين الحجاج عليهم فلما عينه أسرف في عقوبة المخالفين وضبط أمور الشرطة فما عاد منهم تراخ ولا لهو إلا جماعة روح بن زنباع فجاء الحجاج يوماً على رؤوسهم وهم يأكلون فنهاهم عن ذلك في عملهم لكنهم لم ينتهوا ودعوه معهم إلى طعامهم فأمر بهم فحبسوا وأحرقت سرادقهم فشكاه روح بن زنباع إلى الخليفة فدعا الحجاج وسأله عما حمله على فعله هذا فقال :إنما أنت من فعل يا أمير المؤمنين فأنا يدك وسوطك وأشار عليه بتفويض روح بن زنباع دون كسر أمره وكان عبد الملك بن مروان قد قرر تسيير الجيوش لمحاربة الخارجين على الدولة فضم الحجاج إلى الجيش الذي قاده بنفسه لحرب مصعب بن الزبير.[4]

ولم يكن أهل الشام يخرجون في الجيوش فطلب الحجاج من الخليفة أن يسلطه عليهم ففعل فأعلن الحجاج أن أيما رجل قادر على حمل السلاح ولم يخرج معه أمهله ثلاثاً ثم قتله وأحرق داره وانتهب ماله ثم طاف بالبيوت باحثاً عن المتخلفين وبدأ الحجاج بقتل أحد المعترضين عليه فأطاع الجميع وخرجوا معه بالجبر لا الاختيار [5].

وبعد أن أمضى الحجاج زهاء عامين واليًا على الحجاز نقله الخليفة والياً على العراق والتي كانت الأحوال فيها بالغة الفوضى والاضطراب و تحتاج إلى من يعيد

---

(3) طه ، عبد الواحد ذو النون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، منشورات مكتبة باسل ، العراق، 1985 ، ص 75 .

(4) المرجع السابق نفسه ، ص76 .

(5) المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة .

اليها الأمن والاستقرار ويسوس الناس بها على الجادة بعد أن تقاعسوا عن الخروج للجهاد وركنوا إلى الدعة والسكون واشتدت معارضتهم للدولة وازداد خطر الخوارج وقويت شوكتهم فيها بعد أن عجز الولاة عن كبح جماحهم .(6)

ولبى الحجاج أمر الخليفة وأسرع في سنة (75هـ / 694م) إلى الكوفة، وفي أول لقاء معهم خطب في المسجد خطبة عاصفة أنذر فيها وتوعد المخالفين والخارجين على سلطان الخليفة والمتكاسلين عن الخروج للقتال. (7)

وأتبع الحجاج القول بالفعل ونفذ وعيده بقتل واحد ممن تقاعسوا عن الخروج للقتال فلما رأى الناس ذلك تسارعوا نحو قائدهم المهلب(*) لمحاربة الخوارج ولما اطمأن الحجاج إلى استقرار الأوضاع في الكوفة ذهب إلى البصرة تسبقه شهرته في الحزم وأخذ الناس بالشدة والصرامة وخطب فيهم خطبة منذرة زلزلت قلوبهم ولم يكتف الحجاج بحشد الجيوش مع المهلب بل خرج في أهل البصرة والكوفة ليشد من أزر قائده المهلب ويساعده إن احتاج الأمر إلى مساعدة ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان؛ إذ حدثت حركة تمرد في صفوف الجيش، بعد أن أعلن الحجاج عزمه على إنقاص المحاربين من أهل العراق ، ولكن الحجاج تمكن من إخماد الفتنة والقضاء علي أصحابها وهم الخوارج.(8)

وما كاد الحجاج يقضي على فتنة الخوارج حتى شبت ثورة عارمة دامت ثلاث سنوات(81- 83هـ /700 – 702م) زعزعت استقرار الدولة، وكادت تعصف بها وكان يقودها عبد الرحمن بن الأشعث أحد رجالات الحجاج الذي أرسله على رأس حملة جرارة لإخضاع الأجزاء الشرقية من الدولة .(9)

---

(6) العمر ، إحسان صدقي ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، دار الثقافة بيروت ، 1973م ، ص 37 .

(7) المرجع السباق نفسه، ص 38 .

(*) المهلب بن أبي صفره بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأمير ، أبو سعيد الاسدي ، احد أشراف أهل البصرة ويعتبر من فرسانهم وأبطالهم وأجودهم ولد عام الفتح في حياة النبي صلي الله عليه وسلم ، وغزا في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب توفي سنة 83ھ /702م.

– الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 221 .

(8) طه ، عبد الواحد ، مرجع سبق ذكره ، ص 77 .

(9) ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج 9 ، ص 138.

لأنـه وبعد أن حقق ابن الأشعث عدداً من الانتصـارات غرّه ذلك بنفسـه وأعلن العصيان وخلـع طاعـة الخليفة وكـان فـي نفسـه عجب وخيلاء وبـدلاً من أن يكمل المهمـة المنوط بهـا عاد ثائراً علـى الدولـة الأمويـة مدفوعاً بطموحـه الشخصـي وتطلعه إلـى الرئاسـة والسلطان ووجد في أهل العراق ميلاً إلـى الثورة والتمرد علـى الحجاج فتلاقت الرغبتـان فـي شخصـه وآزره عدد من كبـار التـابعين مستحلّين قتال الحجاج بسبب ما نُسب إليه من أعمال وأفعال وحالف النصر ابن الأشعث في جولاته الأولـى مع الحجاج، واضطرب أمر العراق وسقطت البصرة في أيدي الثوار غير أن الحجاج نجـح فـي أن يسترد أنفاسـه بعد أن جـاءه المدد من دمشق وواصل قتالـه ضد ابن الأشعث ودارت معارك طاحنـة حسمها الحجـاج لصـالحه وتمكن من سحق عدوه و القضاء على فتنته. (10)

وفي الفترة التي قضاها الحجاج في ولايته على العراق قام بجهود إصلاحية عظيمة، ولم تشغله الفترة الأولى من ولايته عن القيام بها وشملت هذه الإصلاحات النواحي الاجتماعيـة والصـحية والإداريـة وغيرهـا؛ وكـان يـأمر بحفـر الآبـار فـي المنـاطق المقطوعة لتوفير مياه الشرب للمسافرين. (11)

ومن أعمالـه الكبيرة بنـاء مدينـة واسط (*)بين الكوفة والبصرة، واختـار لهـا مكانـاً مناسباً، وشـرع فـي بنائهـا سـنة (83هـ / 702م)، واسـتغرق بناؤهـا ثـلاث سـنوات، واتخذها مقراً لحكمه .(12)

وكان الحجاج يدقق في اختيار ولاته وعماله ويختارهم من ذوي القدرة والكفاءة ويراقب أعمالهم ويمنع تجاوزاتهم على الناس وقد أسفرت سياسته الحازمة عن إقرار الأمن

---

(10) ابن سعد ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 164 .

(11) حماده ، ماهر محمد ، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بنى أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ ، ص 54.

(*) مدينة واسط تقع علي نهر دجلة من جهة وتتوسط بين الكوفة والبصرة والمدائن والأهواز من جهة أخري، حيث تقع علي طرق التجارة النهرية والطرق البرية التي تجعل من المدينة ذات مركز تجاري مرموق بالإضافة إلي الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها. أما عن سبب تسميتها بهذا الاسم، فقيل سميت واسطاً لان الموضع الذي اختاره الحجاج لبناء مدينته كان يسمي واسط القصب فسميت نسبة لذلك.

- الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 310.

(12) عاقل، نبيه، خلافة بنى أميه، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1975م، ص 234.

الداخلي والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق كما أنه ساعد في تعريب الدواوين وفي الإصلاح النقدي للعملة وضبط معيارها وإصلاح حال الزراعة في العراق بحفر الأنهار والقنوات وإحياء الأراضي الزراعية واهتم بالفلاحين وأقرضهم ووفر لهم الحيوانات التي تقوم بمهمة الحرث وذلك ليعينهم على الاستمرار في الزراعة.(13)

ومن أجلِّ الأعمال التي تنسب إلى الحجاج اهتمامه بنقط حروف المصحف وإعجامه بوضع علامات الإعراب على كلماته وذلك بعد أن انتشر التصحيف ونُسب إليه تجزئة القرآن ووضع إشارات تدل على نصف القرآن وثلثه وربعه وخمسه ورغّب في أن يعتمد الناس على قراءة واحدة وأخذ الناس بقراءة عثمان بن عفان وترك غيرها من القراءات وكتب مصاحف عديدة موحدة وبعث بها إلى الأمصار. (14)

ومما يذكر من فضل الوليد علي الحجاج أنه عندما توفي عبد الملك بن مروان وتولى الخلافة بعده أقر الحجاج على كل ما أقره عليه أبوه وقربه منه أكثر فأعتمد عليه كان ذلك على عكس كره من أخيه وولي عهده سليمان بن عبد الملك، وابن عمه عمر بن عبد العزيز وفي ولاية الوليد هدد سليمان بن عبد الملك الحجاج إذا ما تولى الحكم بعد أخيه فرد عليه الحجاج مستخفاً مما زاد في كره سليمان له ولمظالمه.(15)

و مما يذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلي الوليد يخبره بعسف الحجاج في أهل العراق وظلمه لهم وجوره عليهم بغير حق ولا جناية فلما وصل ذلك الحديث إلي الحجاج ، أخذ يشوه صورة عمر بن عبد العزيز وكتب الحجاج أيضاً إلي الوليد : إن من قبلي من أهل العراق وأهل الشقاق قد خرجوا من العراق ولجأوا إلي المدينة ومكة والطائف وان ذلك يعتبر وهن وضعف.(16)

---

(13) الخربوطلي ، مرجع سبق ذكره ، ص 63.

(14) العمر، إحسان صدقي، مرجع سبق ذكره ، ص 39.

(15) ابن عبد ربه ، مصدر سبق ذكره، ص 69 .

(16) ابن كثير ، مصدر سبق ذكره، ج 9 ، ص 87.

فكتب إليه الوليد : أن أشر علي برجلين فكتب إليه الحجاج يشير عليه ويرشح له عثمان بن حيان (*) وخالد بن عبد الله (*1) فولي خالد مكة وعثمان المدينة ، ومن هذا الموقف يتضح أن الوليد كان يقتنع برأي الحجاج ولا يقطع أمراً إلا بعد الرجوع إليه وموافقته عليه وهذا يؤكد مدي قوة نفوذ الحجاج في إدارة شؤون الدولة الأموية في هذه الفترة ، ويمكن الإشارة إلي أن عزل عمر بن عبد العزيز كان بنصيحة من الحجاج وبإلحاح منه ويؤكد أيضاً أنه هو الذي عين خلفاً لعمر في المدينة وجزءً من إقليم الحجاز إلي قسمين بعد أن كان في عهد عمر بن عبد العزيز عبارة عن ولاية واحدة . (17)

كانت نهاية الحجاج ووفاته في سنة 95هـ/714م قبل وفاة الوليد لعام وله من العمر أربع وخمسون سنة وكانت ولايته علي العراق عشرين سنة. (18)

(*) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة مولي أبو الدراداء ، روي عن أم الدرداء ، وروي عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر استعمله الوليد علي المدينة ، وتولي الغزو في أيام عبد الملك .

- ابن عساكر، مصدر سبق ذكره ، ص 339 .

(*1) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر أبو الهيثم البجلي القشيري ، أمير مكة للوليد ولسليمان ، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك وهو من أهل دمشق ، وروي عن أبيه وروي عنه إسماعيل بن واسط البجلي وحبيب بن أبي حبيب وحميد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد ، وتعرف داره في دمشق بدار الشريف الزيدي .

- ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص 135 .

(17) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 481 .

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 577 .

(18) محمد ، بك الخضري ، تاريخ الأمم الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 176 .

2/ عمر بن عبد العزيز :

عرف عمر بن عبد العزيز الحياة العملية وتولي العمل الإداري والسياسي منذ وقت مبكر ، وتحمل المسؤوليات الرسمية في الدولة ، فكان من أول المناصب التي عمل بها هي ولايته علي إقليم خناصرة (*) التي ولاه إياها عبد الملك بن مروان وسبب توليته لها أن عبد الملك عند وفاة أخيه عبد العزيز بن مروان أراد أن يخفف عن عمر حزنه علي والده فقال عبد الملك : (إن عبد العزيز قد مات ومن ثم صارت ولاية العهد إلي الوليد ، ومن بعده إلي سليمان ولم يبق لأبناء عبد العزيز وراثه في الخلافة) ولذلك ولاه خناصرة في سنة 85هـ / 704م فأقام عليها والياً حتى مات عبد الملك بن مروان ، ويمكن الإضافة لما تقدم من سبب تولية عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز لإقليم خناصرة هو إعجاب الخليفة عبد الملك بن مروان بشخصية عمر بن عبد العزيز منذ صغره . [19]

وعندما تولي الوليد الخلافة ظل علي الإحسان إلي ابن عمه عمر بن عبد العزيز وعامله معاملة خاصة ، وتم تعيينه والياً علي المدينة المنورة وهذا دليل علي رغبة الوليد بن عبد الملك في إقامة العدل بين أهل المدينة . [20]

وورد في شأن ولاية عمر بن عبد العزيز علي المدينة المنورة في عدة أمور أهمها:-
الأول يتعلق بعام توليته ويقال إنه تولي إدارتها في سنة 86هـ /705م وعمره خمس وعشرون سنة وهو الأرجح لقرب عهد المؤرخين الذين ذكروا ذلك ووثقوا له ، أو أن عمر تولي الإمارة علي شؤون المدينة المنورة في سنة 87هـ/ 706م.

والأمر الثاني هو مدي سلطته والتي برزت في ثلاثة آراء هي الأول أن عمر ابن عبد العزيز ولي المدينة فقط، الثاني أنه ولي المدينة المنورة ومكة المكرمة.

(*) خناصرة بلدة من أعمال حلب تحازي قنسرين نحو البادية وقيل بناها خناوره بن عمرو بن الحارث بن كعب ، وينسب إليها أبو يزيد بن خالد الغناصري الأسدي وقيل ذكرها المتنبي في شعره .
- الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 180 .

(19) فيصل، ماجد، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، إدارة المطبوعات، مكة المكرمة، 1406 هـ، ص 69.

(20) العدوى،أحمد إبراهيم، ، تاريخ العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986م ، ص 171.

أما الثالث يقول إن عمر ولي المدينة أولاً ثم إتسعت ولايته لتشمل مكة والطائف في سنة 90هـ / 709م . [21]

والراجح أن عمر بن عبد العزيز وُلّيّ الحجاز كلها وإنما ذكرت المدينة وحدها باعتبارها قصبة الحجاز ومدينة العلم وعاصمة الدولة الإسلامية علي عهد الرسول صلي الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة من بعده فأطلق لفظ المدينة التي اعتبرت رمزاً للحجاز كله .[22]

وقيل إن عمر بن عبد العزيز تأخر في الخروج لاستلام مهام المنصب الجديد الذي عّين فيه فقال الوليد لحاجبه:(ويلك ما بال عمر لا يخرج إلي عمله ؟) فقال له الحاجب : زعم أن له بعض الشروط فقال له الوليد : عجّله عليّ فلما حضر إلي الوليد قال له : (إنك إستعملت من كان قبلي ، فأنا لا أحب أن تأخذني بعمل أهل العدوان والظلم والجور فقال له الوليد : اعمل بالحق وإن لم ترفع إلينا درهماً واحداً). [23]

قدم عمر بن عبد العزيز المدينة المنورة وثقله علي ثلاثين بعيراً ونزل في دار جده مروان بن الحكم وجعل الناس يدخلون عليه ، ولما صلي الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة[*] فدخلوا عليه وجلسوا معه فحمد الله وأثني عليه ثم خاطبهم قائلاً (... إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً علي الحق ، وما أريد أن اقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدي أو بلغكم من عامل من عمالي ظلامة فأستحلفكم بالله أن تبلغوني به ...) فجزوه خيراً وشكروه وأثنوا عليه وتفرقوا . [24]

---

(21) فيصل، ماجد، مرجع سبق ذكره ص 70.

(22) المرجع السابق نفسه ، ص 71.

(23) المرجع السابق نفسه ، ص 72 .

(*) هم : عروة بن الزبير ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، عبيد الله بن عبد الله ، خارجه بن زيد ، عبد الله بن عبد الله ابن عمر ، سالم بن عبد الله بن عمر ، سليمان بن يسار ، القاسم بن محمد ، أبو بكر بن سليمان ، عبد الله بن عامر ابن ربيعة .

- ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج 9، ص 86 .

(24) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 . ، ص 23 .

وقد بين عمر بن عبد العزيز في هذه المقالة القصيرة السياسة التي ينوي إتباعها في فترة ولايته علي المدينة وهي أنه أراد أن يرجع في حكمه إلي مبدأ الشورى الذي فرضه الله سبحانه وتعالى لعباده ، ومن أجل تطبيق هذا المبدأ رغّب الفقهاء في الشورى التي دعاهم من أجل أن يتبع تطبيقها في سياسته وبيّن لهم أن الله سيجزيهم علي تطبيق هذا المبدأ خيراً كثيراً ، كما أوضح لهم أيضاً أنه لن يقضي بأمر مهما صغر شأنه إلا بعد مشاورتهم وأخذ رأيهم فيه كلهم أو بعضهم،وأنتقل بعد ذلك إلي القسم بالله بأن يخبرونه بكل شكاوي تصدر من عامة الناس عليه هو أو علي أحد من عماله ، ويتضح أن عمر أراد أن يلتزم بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم يرجع بعدهما إلي أولي الرأي والمشورة .[25]

وقال أنس بن مالك [*] :(كان عمر بن عبد العزيز لا يقضي قضاءً حتى يسأل سعيد بن المسيب عنه فأرسل إليه ذات مرة رجلاً يسأله ، فدعاه ذلك الرجل ، فلما دخل علي عمر قال له عمر : أخطأ الرسول إنما أرسلناه يسألك في مجلسك).[26]

وتمكن عمر بن عبد العزيز بفضل هذه الجهود الكبيرة التي بذلها في المدينة المنورة من إعادة المدينة إلي سيرتها الأولي حتى لقبه أهلها بالرجل الصالح ، الأمر الذي جعل الوليد يزيد من ثقته فيه ويضم إليه مكة وأصبحت بذلك الحجاز ولاية واحدة تحت إدارته ، ونسبة للأمن الذي شهدته الحجاز في عهده وشاع خبره بذلك فأصبح الحجاز ملاذاً لكثير من الخائفين . [27]

ومع هذه المعاملة التي إنتهجها عمر بن عبد العزيز مع العلماء والفقهاء وميله إلي إحترام آرائهم ورفعه لمكانتهم الاّ أنهم كانوا مع ذلك يقدمون له النصح والإرشاد ويحبون له أن يكون في درجة أرفع من الولاة السابقين وكانوا يلومونه

---

(25) فيصل، ماجد ، مرجع سبق ذكره، ص 74.

(*) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ، خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، واحد المكثرين في الرواية ، جاءت به أمه إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، وعمره عشر سنين فقالت أمه إلي النبي صلي الله عليه وسلم هذا انس غلام يخدمك ؟ فقبله النبي صلي الله عليه وسلم ، وكناه ابا حمزة ، ومازحه النبي فقال له : ياذا الأذنين ، كان أخر الصحابة الذين توفوا بالبصرة .

- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز االصحابة مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص 43 .

(26) ابن كثير ، مصدر سبق ذكره ،ج9 ،ص 86 .

(27) اليعقوبي ،أحمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، دار الفكر بيروت ، 1956م ، ج2 ، ص 224 .

وينتقدونـه إذا لـم يحالفـه الحظ ويجانبـه التوفيـق فـي بعض الأمـور الإجتماعيـة أو الإداريـة ومن ذلك ان عمر بـن عبد العزيـز كـان مـاراً بالمدينـة ساحباً ثوبـه جاراً ذيلـه ، فناداه محمد بن كعب القرظـي [*] قائلاً : إن رسول الله صلـي الله عليـه وسلم قال :(ما جـاوز الكعبين فـي النـار) ! فالتفت إليـه عمـر عبد العزيـز مغضباً وأغلظ عليه فـي الرد فقال لـه : (اتق الله يابن كعب! لا تكن كالشمعة تضـئ للنـاس وتحـرق نفسها) [28] .

وقيل إن أهل المدينـة أصبحوا يطلقون لقب الأمير علـي عمر بـن عبد العزيـز كلما جاء الحديث عنه ولم يكن من احد يأتي إليه أو يجالسه أو يحدث عنه إلا هو قائل : الأمير الأمير حتـى كـاد اسم عمر يختفـي بين النـاس في حديثهم ويحل مكانـه لقب الأمير ، ولقد ضـاقت نفس مزاحم بن أبي مزاحم [*1] بما يحدث من هذا الأمر ، وفـي ذات مرة حبس عمر رجلاً وأطـال فـي حبسه فكلمـه مزاحم فـي أمر هذا الرجل وطلب منه أن يطلق سراحه فقال عمر (... ما أنا بمخرجه حتـى ابلـغ فـي الحيطـة عليه بما هو أكثر مما مر...) ، فرأي مزاحم أن الفرصـة قد سنحت ليحدث عمر ورأي أن الأمر قد جاوز حده ، فقال مزاحم وهو مغضباً : (... يا عمر بن عبد العزيز إنـي أحذرك ليلة تمخض بالقيامة ، وفي صبيحتها تقوم الساعة ! يا عمر لقد كدت أنسـي اسمك مما أسمع : (قال الأمير قال الأمير)...) فقال عمر بن عبد العزيز فـي ذلك

(*) محمد بن كعب القرظي بن حيان بن سليم بن أسد أبو حمزة وقيل أبو عبد الله ، ولد في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، وهو من أهل المدينة قدم علي عمر بن عبد العزيز ، وكان من الثقاة والصلاح عالماً بالقران وقيل كان له جلساء من اعلم الناس بتفسير القرآن الكريم ، وكانوا مجتمعين في مسجد الربذه فأصابتهم زلزله فسقط عليهم المسجد ، فماتوا جميعهم ، توفي محمد بن كعب وله من العمر ثمان وسبعون سنة .

- ابن منظور، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 117.

(28) سيد الأهل ، عبد العزيز ، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة، 1974م، ص 45.

(*1) مزاحم بن أبي مزاحم مولي عمر بن عبد العزيز ، أصله من سبي البربر، سكن مكة وروي عن عمر بن عبد العزيز ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي ، وعبيد الله بن أبي يزيد ، وروي عنه إسماعيل بن أميه ، وداود وعبد الرحمن العطار ، وابنه سعيد ، والزهري وعيينه بن أبي عمران الدمشقي .

- ابن عساكر ، مصدر سبق ذكره ، ص 344 .

بعد فترة أن أول من أيقظه لهذا الشأن مزاحم فو الله ما هو إلا أن قال ذلك فكأنما كشف عن وجهي غطاء . (29)

وفي سنة 93هـ /712م كتب الوليد إلي عمر بن عبد العزيز قبل أن يعزله من ولاية المدينة يأمره أن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير (*) وأن يصب عليه الماء البارد فوق رأسه ، فضربه عمر بن عبد العزيز خمسين سوطاً وصب عليه ماءً بارداً في يوم شات وأوقفه علي باب المسجد فمات في يومه ، وكان عمر بن عبد العزيز بعد وفاة خبيب شديد الخوف وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول :(... وكيف لي وخبيب بالطريق ...) وفي رواية أخري يقول : هذا أن لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى ، وكان إذا أثني عليه احد يقول : (... خبيب وما خبيب أن نجوت منه فأنا بخير...)، ومازال عمر بن عبد العزيز علي هذا الحال حتى أصبح كثير الخوف وأخذ يجتهد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه ، ولكن قيل حصل له منها خير كثير باجتهاده في العبادة وزاد في الإحسان والعدل والصدقات وفعل الخيرات وغير ذلك . (30)

3/ خالد بن عبد الله القسري :

وليّ الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري وذكر عند قدومه (... يا أيها الناس إنكم بأعظم بلاد الله حرمة وهي البلاد التي اختارها الله من البلدان فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده الحج إليها، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات فإني والله ما أوتي اليّ بأحدٍ يرفض و يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم وإن الله جعل الخلافة بالموضع الذي جعلها فسلموا وأطيعوا فأنه لا رأي فيما كتب بها الخليفة أو رآه الا إمضاؤه وأعلموا

---

(29) سيد الأهل، عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص 46 .

(*) خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى ، روي عن أبيه وعن عائشة وروي عنه ابنه الزبير ، ويحي بن عبد الله بن مالك والزهري وقيل أنه أدرك كعب الأحبار وكان من النساك ، ضربه عمر بن عبد العزيز سنة 93هـ / 712هـ ومات وأعطي أهله ديته وقيل قسمها فيهم ، وقد ندم علي ضربه عمر ندماً شديداً .

- الذهبي ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص247 .

(30) ابن كثير ، مصدر سبق ذكره ،ج9 ، ص 247 .

- فيصل، ماجد ، مرجع سبق ذكره ، ص 74 .

انه قد بلغني إن قوماً من أهل الخلاف يقيمون في بلادكم فإياكم أن تنزلوا احداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة فاني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم). [31]

وقال في خطبة أخرى (يا أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم ؟ والله لو تعلمون فضل الخليفة ، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً واستسقي الخليفة فسقاه فراتاً)، يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد وكان ماؤها عذباً كان ينقل ماءه ويضعها في حوض إلي جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها ولا يدري أين هو اليوم .[32]

وقيل لما قدم خالد بن عبد الله مكة اخرج من كان بها من أهل العراق كرهاً .[33]

ب/ أهم أعمال الوليد العمرانية :

تميزت الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك بانجازات كثيرة تمثلت في مجال العمران والجوانب الحضارية مثل المساجد التي تعتبر منارة الإسلام وقد حظيت بعض المدن الكبرى في الدولة الأموية لا سيما في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي اعتني عناية خاصة بالمدينة المنورة و أعاد بناء مسجدها وكذلك مدينة دمشق التي شيد فيها مسجداً حمل اسم الدولة الأموية (المسجد الأموي)، وقد وقفت روائع النهضة المعمارية الأموية شاهداً على ظهور نواة الفن الإسلامي وهي النواة التي ازدهرت في عهده وملأت البلاد العربية ومازالت آثارها باقية إلي يومنا هذا تحكي عن عظمتها وجلالها.

1/ توسعة المسجد النبوي الشريف:

جاء توجيه الوليد إلي عمر بن عبد العزيز بأن يوسع مسجد المدينة المنورة وأمره أن يدخل حجرات زوجات رسول الله صلي الله عليه وسلم التي أراد عبد الملك إدخالها

---

(31) الطبري، مصدر سبق ذكره، ج 6 ، ص 464 .

(32) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 110.

(33) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 65.

ولكنه تراجع عن ذلك ، ولكن الوليد رأي أن يغتنم فرصة ولاية عمر بن عبد العزيز في المدينة لمكانته بين أخواله وكانت البيوت حينها تسعة بيوت ، بعضها من جريد النخيل وبعضها من حجارة ضخمة وقيل عندما أراد عبد الملك أن يهدمها ضج أهلها بكاءً مثل اليوم الذي مات فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم فأمتنع ورجع ولكن عندما كسب عمر بن عبد العزيز أهل المدينة أدخل الحجرات وأشتري ممن كان له حق وبدأ يهدم البيوت وهدم المسجد من أوله إلي أخره وأعاد بناءه بعد أن زاد في مساحته من جهاته الأربع واحتفظ للمسجد بطابعه الأصلي فتبقي أساسه من الحجارة وجعل أعمدته حجارة محشوة بالحديد والرصاص بدل جذوع النخيل ، وبنى المقصورة وفتح فيه الأبواب . (34)

وقيل إن الوليد عندما أرسل إلي عمر يأمره بهدم المسجد وأن يشتري في نواحيه الأربعة حتى يجعله (200) مئتين ذراع في مثلها وأن يقدم القبلة ومن أراد أن يعطيك ملكه فقيمه قيمة عدل وأدفع إليه الثمن وأهدم عليه ولك في ذلك سلفك عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فأعطاه أهل الأملاك ، وقيل بعث الوليد إلي ملك الروم يخبره بأنه يريد بناء مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم فبعث إليه ملك الروم (100000) مائة ألف مثقالاً من الذهب و(100) مائة من العمال و(40) أربعين حملاً من الزينة وجمع عمر وجوه الناس والفقهاء وقرأ عليهم كتاب الوليد فشق عليهم ذلك وقالوا هذه حجر قصيرة السقوف وأرادوا أن يترك لهم المسجد علي هيئته وكتب إلي الوليد ورد عليه بأن يشرع في العمل . (35)

ويذكر أن عمر بن عبد العزيز حين بدأ يهدم الحجرات أتاه خبيب بن عبد الله ابن الزبير وقال له: (نشدتك بالله يا عمر اين تذهب بأية من كتاب الله وذكره بقوله

---

(34) عبد الله ، طيبة محمد ، أساليب الدعوة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية الدعوة جامعة أمدرمان الإسلامية ، 2006م ،ص 43 .

- طلس ، محمد أسعد ، تاريخ بني أمية ، دار الأندلس ، بيروت ، 1958م ، ص 122 .

(35) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 60 .

- ابن كثير ، مصدر سبق ذكره، ج 9، ص 89.

تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)(*) وكان هذا الموقف هو الذي تعرض فيه خبيب للضرب بعدما جاء كتاب الوليد لعمر .(36)

هذا وقد فرغ عمر من بناء المسجد سنة 90هـ /709م وأستغرق من الزمن ثلاث سنوات ، وعندما أراد الوليد الحج كتب إلي عمر وخرج عمر لاستقباله في موكب عظيم كان فيه جماعة من أهل المدينة الكبار وأقبل الوليد راكباً ولم ينزلوا حين رآوه ، وقد كانت عادة الخلفاء أن ينزل إليهم الناس إذا كانوا ركباناً ، ويقفون إن كانوا قعوداً ولكنهم عندما رأوا الوليد لم ينزلوا له ، فأسرع حاجب الوليد يصرخ فيهم انزلوا لأمير المؤمنين ، فنزلوا ، ثم أشار إليهم الوليد بأن يركبوا فركبوا ، ثم دعا الوليد عمر لوحده وسار معه حتى قرب من المدينة واحضر عمر أصحابه فدعاهم الوليد رجلاً رجلاً فسلموا عليه .(39)

وبعدها دخل الوليد المدينة وتوجه مباشرة إلي المسجد ينظر إلي بنائه وكان جميع الناس غادروا المسجد عدا سعيد كما تقدم ، وابتهج الوليد بما رأي وحاول إظهار فرحته في ذلك اليوم وقسم علي أهل المدينة الذهب والأموال وحضر الوليد الجمعة وخطب في الناس وخالف التقليد حيث خطب الجمعة قاعداً. (40)

2/بناء مسجد دمشق الكبير (المسجد الأموي) :

جامع بني أمية في دمشق هو أكمل وأقدم منارة إسلامية مازالت محافظة على أصولها منذ أنشأها الوليد بن عبد الملك وخلال حكمه كان منصرفاً إلى الإعمار والإنشاء ، وكان بناء الجامع من أكثر الأمور أهمية عنده ، ولقد استعان في عمارته بالمعماريين والمزخرفين من أهل الشام.(41)

وعندما أصبحت دمشق عاصمة للخلفاء الأمويين وازداد عدد سكانها من المسلمين، صمم الخليفة الوليد بن عبد الملك علي بناء مسجد كبير يسع جميع المصلين في

(*) سورة الحجرات الآية (4).

(36) سيد الأهل، عبد العزيز ، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص 48 .

(39) المرجع السابق نفسه ، ص 49 .

(40) عبد الله ، طيبة محمد ، مصدر سبق ، ص 47 .

(41) الصواف، حسن زكي، مجلة الوعي الإسلامي ، الجامع الأموي درة دمشق ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، العدد 532 ، 2010م .

المدينة وقد كانت محل ساحته معبداً قديماً وقد تم بناء هذا المسجد في مساحة من الأرض ويبلغ طول سوره حوالي ثلاثمائة وثمانون في ثلاثمائة (380 × 300) متراً مربعاً. [42]

وعندما قرر الوليد تنفيذ هذا المشروع المعماري الكبير دخل في مفاوضات مع المسيحيين لكي يتنازلوا له عن نصف المعبد الذي أقاموا عليه كنيستهم وكسب الوليد في نهاية الأمر ما أراده وقام بهدم الكنيسة وكل ما بداخل جدران المعبد ثم شيد المسجد وفق مخطط جديد مبتكر يتجاوب مع شعائر الدين الإسلامي وأغراض الحياة الدينية فجاء المسجد فريداً في هندسته لم تظهر فيه أي علامة من علامات النسق القديم .[43]

وعندما فكر الوليد في بناء هذا المسجد كان معه في خزانة الدولة ما يكفيه من المال لا سيما وأن الوليد رجل يحب الفن والعمارة ويقدرها تقديراً جليلا ولهذا فتح الوليد بيت المال وأخذ ينفق منه ثم جعل المسجد في هيئة جميله لا يعرف لها كثير من الناس نظير في البناء وقيل استعمل في بنائه خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين وكان المكلف بهذا العمل الكبير أخوه سليمان بن عبد الملك .[44]

وشرع الوليد في بناء المسجد في 87هـ / 707م وأمر أن يكتب بالذهب علي الحائط (ربنا الله لا نعبد إلا الله) وهذه الكتابة المذهبة ظلت طيلة فترة خلافته ، وظل العمل قائماً في المسجد حتى نهاية عهده في 96هـ / 715م وساهم في هذا العمل الآلاف من العمال المتخصصين الذين جمعوا من أطراف الولايات العربية ، وقيل إن الوليد انفق علي هذا المسجد خراج سبع سنين ، ولم يدخل الوليد في هذا المسجد من البناء العتيق إلا الجدار الخارجي والأبراج ، وأما المخطط فهو نفس المخطط الذي

---

(42) زعرور ، إبراهيم وعلي أحمد ، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، 1417هـ، ص241 .

– سالم ، السيد عبد العزيز , دراسات في تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 2003م ، ص 437 .

(43) ابن كثير , البداية والنهاية ,مصدر سبق ذكره , ج و,ص 85 .

_ العش ، يوسف1985م ، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنه عثمان ، دار الفكر العربي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ص 244.

(44) الصلابي , الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار , مرجع سيف ذكره ,ج2, ص 89 .

أنشئت عليه المساجد الإسلامية الأولي ويتألف هذا المسجد من صحن فسيح تحده أروقة من جهاته الشمالية والغربية والشرقية.[45]
ويعرف هذا المسجد بمسجد دمشق أو الجامع الأموي واحتفل به الوليد احتفالاً عظيماً واهتم بأمر تشييده حتى يكون في أكمل مظهر، ولا تزال آثاره شاهدة على تلك العظمة . [46]

ت/إنجازات الوليد في الجانب الاجتماعي :

هذا وقد أولي الوليد الجانب الاجتماعي أهتماماً ورعاية فكان يعطي الناس ويعطف عليهم خصوصا المجزومين الذين وفر لهم الحجر الصحي وطلب منهم عدم سؤال الناس وأعطي كل ضرير خادم يقوم بخدمته ، وكان يمر بنفسه في الأسواق ليقف على الأسعار .[47]

كما كثرت الإصلاحات الداخلية في عهده مثل تعبيد الطرق واهتمامه بها وبناء المستشفيات وأقيمت دار للعجزة والمسنين في عهده ، ومن الانجازات في عهده علي سبيل المثال في العراق تم مسح الأراضي الزراعية وجعل كل صاحب أرض مسوؤلا عن أي جريمة قتل تقع داخل أرضه ، فهذا بدوره ساعد علي استتباب الأمن وأعيد أيضا إصلاح وتنظيم عملية الري ، ومنعت الهجرة من الريف إلي المدن لكي لا تفتقر الزراعة إلي الأيدي العاملة كما أهتم أيضا بالرعية وكان الوليد هو أول من عمل بيتاً للضيافة .[48]

وكان عهد الوليد من أنضر عهود الدولة الأموية لما شهده من مقومات شملت معظم أرجاء الدولة الإسلامية ولما فيه من إصلاحات واسعة شملت معظم الأقطار في الدولة الأموية ، لا سيما المدينة المنورة التي أولاها عناية خاصة وذلك بتعيينه

---

(45) عاقل ،نبيه ، خلافة بني أمية ،دار الفكر ، الطبعة الثانية 1975م ، ج 2 ، ص 235 .
(46) الخضري ، محمد بك ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، مرجع ذكره ، 168 .
(47) الطبري ، مصدر سبق ذكره ، ج7 ، ص 301 .
(48) زعرور ، إبراهيم ، وعلي أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص 125 .

للرجل المناسب في المكان المناسب وهو عمر بن عبد العزيز الذي أجتهد في إصلاح حال المدينة المنورة والتعامل مع سكانها معاملة طيبة عكس من سبقوه. (49)
وكان عهد الوليد غرة في جبين الدولة الأموية وحقيقة كان عهده ثمرة طيبة للجهود التي بذلها والده علي مدي عشرين سنة كاملة من عمره في توحيد الدولة والقضاء علي الفتن الداخلية والخارجية التي كانت تهدد الدولة بالانهيار وعمل علي ضبط هذه الدولة حتى سلمها لابنه الوليد وهي دولة قوية ومستقرة ومزدهرة ، فلذلك سعي الوليد على استثمار الجوانب الاقتصادية ، وكان شديد العناية بالمسائل الاجتماعية والمعارف العامة وتقدم الفنون فكان يشجع الصناع علي العمل وكان يصرف رواتب لجرحي الحرب وفتح المدارس والمستشفيات ومنع الصدقات غير المنظمة ، وجعل للفقراء و الشيوخ من العطايا ما يقوم بسد حاجاتهم ، وشيد الملاجئ للمقعدين واليتامى و كان يزور الأسواق بنفسه ، ويراقب ارتفاع الأسعار وهبوطها وكان أول خليفة أموي شجع الحرف والآداب والفنون . (50)

ث/إستكمال حركة التعريب :-

كرس الخلفاء الأمويون جهودهم إلى تقوية الحكم العربي و ذلك بتحويل كل شئ في جهاز تلك الدولة إلى العربية وتعرف هذه السياسة الأموية باسم التعريب و أول من بدأ هذه الحركة التعريبية الخليفة عبد الملك بن مروان ثم سار بعده ابنه الوليد على طريقته في حركة التعريب على ميدانين أحدهما تعريب دواوين الدولة والآخر تعريب العملة وكانت لغة الدواوين تكتب عند اعتلاء عبد الملك الخلافة بغير العربية وكان الدافع على تعريب الدواوين إيجاد انسجام في إدارة الدولة وقد ساعد على سرعة حركة التعريب وتنشيطه كثرة إقبال الناس إذ ذاك على تعلم اللغة العربية

---

(49) القضاعي ، سلامة محمد ، عيون المعارف وفنون الخلائف ، حققه نشأت بن كمال المصري ، دار النشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولي ، 2008م ، ص 446 .

(50) بأمان ، حيدر ، مجالي الإسلام ، نقلة الي العربية عادل زعيتر ، طبع بدار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1956 م ، ص 82.

- علي ، سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة رياض رأفت ، دار الأفاق العربية ، الطبعة الأولي 2001م ، ص 103 – 104 .

وقد أمر الخليفة عبد الملك باستخدام من يجيد اللغة العربية في تلك الدواوين ومناصب الدولة الرسمية. (51)

وترتب على حركة التعريب أن أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في سائر أرجاء الدولة الأموية ومهد هذا التطور الى انتشارها بين الناس وصاحب هذا التعريب انتشار الخط العربي وتطوره وسار على نهجه عمال الولايات أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي إذ ينسب إلى هذا الوالي الإشراف على سك الدراهم الإسلامية وعرفت العملة الجديدة باسم (السكة الإسلامية) ولها دار تضرب فيها وصارت تعرف باسم (دار السكة) وكانت الدنانير والدراهم مدورة الشكل والكتابة عليها في دوائر متوازية وكان يكتب على أحد الوجهين أسماء الله سبحانه وتعالى وعلى الوجه الآخر التاريخ وأسم الخليفة وأقبل الناس على استخدام هذه العملة الجديدة حيث اعتبروها مظهراً من مظاهر سيادة دولتهم الفتية وسبيلا للوحدة الاقتصادية بين أقطارها على الرغم من اتساع المسافات بينهما.(52)

وعلى الرغم من أن عملية التعريب صعبة وشاقة فقد بدأها عبد الملك بن مروان ثم جاء بعده ابنه الوليد الذي سار على نهج والده فعمل على تحويل هذه الدواوين إلى اللغة العربية باعتبارها لغة الدولة الرسمية وحول الدواوين في مصر إلى اللغة العربية بمعاونة أخيه والي مصر عبد الله بن عبد الملك واستمرت هذه الحركة تسير سيراً حثيثاً في عهد الوليد بن عبد الملك خاصة في الجهاز الإداري ، ثم أن الحجاج قطف في عهد الوليد ثمرات العمل الشاق الذي قام به في عهد عبد الملك ، وكان الحجاج متفرعاً للعمل في عصر الدولة الأموية و هو عصر سيادة العروبة وسيادة الإسلام وكان عصر الوليد هو عصر إمبراطورية العرب الواسعة .(53)

---

(51) العدوى ، تاريخ العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مرجع سبق ذكره ، ص 168.

(52) الريس ، رضاء الدين ، أعلام العرب عبد الملك بن مروان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 2002 ، ص 283 .

(53) حتى فيليب ، وآخرون ، تاريخ العرب ، دار الكشاف ، الطبعة الرابعة 1965م ، ج1، ص 115 .

وخلاصة لما سبق شهدت الدولة الأموية في فترة الوليد بن عبد الملك إصلاحات داخلية تمثلت في اعتماد الوليد على بعض الولاة الذين كان لهم دور كبير في تثبيت دعائم الحكم الأموي كأمثال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي اعتمد عليه الوليد بشكل كبير في إقليم العراق والذي حقق فيه الأمن بفضل قهره لأهل العراق ، الذين عاملهم بالقسوة ، وفي الجانب الأخر اعتمد الوليد على ابن عمه عمر بن عبد العزيز واتخاذ سياسة مخالفة لسياسيه الحجاج وسياسيه هشام بن إسماعيل ، سياسة تقوم على التشاور مع العلماء وحفظ حقهم لأنهم أهل المدينة المنورة ، وأيضا اهتم الوليد بالجانب العمراني الذي تمثل في إعادة بناء مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وبناء مسجد دمشق واهتمامه بالنواحي الاجتماعية وذلك بعطفه على المحتاجين وتخصيص مستشفيات للمجذومين وغيرها من الإصلاحات الأخرى التي قام بها الوليد في أرجاء دولته واستكمال حركة التعريب.

الفصـــل الثالث

فتوحات الوليد بن عبد الملك

في جبهة المشرق

أ/ فتح بلاد ماوراء النهر :

جعل الأمويون إقليم العراق القاعدة الكبرى لاستئناف الفتوحات التي توقفت في الميدان الشرقي أواخر خلافة سيدنا عثمان بن عفان (*) رضي الله عنه ولما تولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة بعث بالجيوش لنشر الإسلام في مواقع جديدة ، ولكن الفتوحات التي قام بها معاوية رضي الله عنه لم تستقر بسبب إنشغال الخلفاء الأمويين بالقضاء على الحركات المعارضة لدولتهم ، ولم يبدأ الفتح المنظم للجهات المهمة في الميدان الشرقي ، إلا حين ولي الحجاج بن يوسف إدارة العراق ، وتجلت عبقريته في توجيه الجيوش الأموية من العراق إلي جبهتين هامتين في نفس الوقت إحداهما هي فتح بلاد ما وراء النهر(*1) والأخرى لفتح بلاد الهند (*2) [1].

ومما يحسب لعبد الملك بن مروان أنه حفظ الدولة وثبت دعائمها ووطد أركانها ونشر بها الأمن مما مكنه من البقاء والاستقرار وحقق وحدتها

(*) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي ، أمه أروي بنت كريز بن ربيعة بن حبيب أبن عبد شمس ، اسلم على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، تزوج بنتي رسول الله صلي الله عليه وسلم لذلك عرف بذي النورين ، تولي خلافة المسلمين عقب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، توفي مقتولاً سنة 35هـ / 655 م .

– ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 465 .

(*1) ما وراء النهر تعبير أطلقه الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمال ، وتقع هذه البلاد في شمال شرق الدولة الفارسية القديمة وسكانها من العنصر التركي الذي انحدر إليها من الشرق منذ القرن السادس الميلادي وكونوا لهم عدة ممالك مستقلة .

– عبد اللطيف ، محمد عبد الشافي ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 2008م ، ص 361 .

(*2) الهند فتحها محمد بن القاسم الثقفي ، وكان سبب فتحها أن امرأة مسلمة ممن سباها أهل الهند وراودوها عن نفسها فصرخت واحجاجاه ، فجهز الجنود إلي ارض الهند مع محمد بن القاسم وكانت لأهل الهند اثنتان وأربعون ملة ، فمنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل ، ومنهم من ينفي الكل ، ومنهم من يعبد النار ويحرق نفسه ومنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد الثعابين والشجر .

. الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص 596 .

(1) العدوى ، إبراهيم أحمد ، التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1976م ، ص 233

فاستقرت وزاد من قوتها وجعلها تستعيد سيرتها ومكانتها وهيبتها وسيادتها على الأعداء كما كانت أو أكثر كما أنه وسع حدودها فأضاف إليها أقاليم جديدة و عندما جاء الوليد خليفه من بعده عزم على متابعة التوسع وتعد انجازاته من أضخم من ما أنجزه خلفاء بني أميه على الإطلاق فقد تمكن من توسيع رقعة فتوحاته على عدد من الجبهات كجبهة ما يسمي ما وراء النهر و السند [*] [2].

هذا وقد كانت العمليات العسكرية في وسط أسيا [*1] علي درجة كبيرة من الأهمية كما أنها تمت بنجاح في بلاد ما وراء النهر ، حيث حقق القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى [*2] حاكم خراسان [*3] السيطرة الأموية على هذه البلاد وتمكن من إثبات جدارته بالإمارة والقيادة ، لذا أعتبر من أشهر وأنجح القادة العسكريين حيث سانده حاكم قوي هو الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت أوضاع الدولة الأموية قد إستقرت ، فأجتمعت له قوة الدولة واستقرارها [3] .

وتفيد بعض المصادر أن بلاد ما وراء النهر لم تكن مستقرة سياسياً لان المنازعات بينها كانت مستمرة ومتواصلة ولهذا شكل هذا الوضع في تلك البلاد خطراً على الوجود الإسلامي في خراسان ، مما يعني أن لهم ماضياً عدائياً تجاه

(*) السند بلاد كبيرة بين ديار الهند وكرمان وسجستان ، واهم مدنها المنصورة ولغة أهل السند غير لغة أهل الهند .
- الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 89 .

(2)العدوي احمد إبراهيم ، التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مرجع سبق ذكره ، ص 234.

(*1) أسيا تبلغ مساحتها حوالي 18مليون ميلاً مربعاً،أي مايقارب نصف مساحة اليابس وتمتد لمسافة 85 درجة من درجات العرض ، تمتاز بالتنوع الشديد في مظاهر السطح.
. صادق، دولت أحمد ، جغرافية العالم ، أسيا وأوربا، مكتبة الإنجلو المصرية ،1989م ،ص 19 20.

(*2) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير الباهلى ، ولد 48هـ /688م ، ولاه الحجاج إمارة البحرين ثم ولاه خراسان 86هـ / 705 م ، فمكث والياً عليها عشر سنين ، وكان من أكثر الفاتحين شجاعة وجرأة وتوفيقاً في الفتوح ، وكان في أثناء ولايته على خراسان يطلب من الخليفة أن يأذن له بمباشرة الجهاد والفتح ، قتل سنة 96هـ / 715م .
- بك ، محمود نصير ، مرجع سبق ذكره ، ص 179 .

(*3) خراسان بلاد مشهورة ، شرقها ما وراء النهر ، وهي مجاورة إلي بلخ وهراة ونيسابور .
- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 147 .

(3) طقوش ، محمد سهيل ، مرجع سبق ذكره ، ص 107 .

الإسلام والمسلمين الذين قرروا وضع حد لهذه الفوضى الضاربة في هذه البلاد ، وضمها للدولة الإسلامية قبل أن يزيد خطرها (4)

وكانت المرحلة الحاسمة لفتح أقليم ما وراء النهر جاءت على يد الفاتح البطل قتيبة بن مسلم ، ففي خلال عشر سنوات 86هـ / 705م – 96هـ / 715م استطاع بسط السيادة الإسلامية على كل البلاد ويمكن أن يقال أن قتيبة كان رجلاً حسن الحظ ، حيث قدر له أن يجني ثمار مراحل طويلة من الغزوات التي طرقت بلاد ما وراء النهر عبر عشرات السنين وثمار أعمال رجال وقادة عظماء سبقوه إلي هذه البلاد وعبّدوا له الطريق (5)

ومنذ خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بدأ المسلمون يعبرون نهر جيحون (*) منطلقين من خراسان ، ولم ينقطع غزوهم وعبورهم للنهر الذي أخذ يتكرر كل عام ، وكانت هذه الأعمال العسكرية لا تتعدي حملات استطلاع من أجل جمع المعلومات عملاً من أعمال الاستطلاع وجمع المعلومات ، لان الفتح المنظم كان يستدعي ويتطلب ظروفاً لم تكن متوفرة للدولة الإسلامية في تلك الفترة ، فمن ناحية عاشت الدولة الإسلامية مرحلة من الفتن والحروب الأهلية حتى قرب نهاية خلافة عبد الملك بن مروان ، ومن ناحية ثانية لم يكن ممكناً الإقدام على تنفيذ مشروع كبير كفتح بلاد ما وراء النهر قبل أن تستقيم للمسلمين الأمور في خراسان وطخارستان (*1) التي لم تستقر على أمرها إلا على يد قتيبة بن مسلم (6) وأن الفتور الذي كان يصيب المسلمين في خراسان ، والخلافات القبلية التي كانت تعصف بهم

---

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 119 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 120.

(*) نهر جيحون هو نهر في جنوب غرب تركيا يعرف عند اليونان بنهر اوكوس وهو من أعظم انهار أسيا ، يصب في بحيرة اوران يروي شمال بلخ وبخاري ، طوله 600 كلم أطلق العرب البلاد الواقعة شماله ما وراء النهر .

– البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ، دار المعرفة ، بيروت ، 1995م ، ج 6 ، ص 616 .

(*1) طخارستان وهي ولاية كبيرة تشمل عدة بلاد وتقع خلف نهر جيحون على تخوم السند ، ولعلها كانت تابعة للصين وبها إقليمين الأول يسمي طخارستان العليا وتقع شرقي نهر بلخ والأخر طخارستان السفلي غربي نهر جيحون .

– ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 23 .

– السيد ، عبد اللطيف عبد الهادي ، العصر الذهبي لاتساع الدولة الأموية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2008 م ، ج 4 ، ص 285 .

(6) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 264

وعصيانهم للامراء وقسوة الأمراء عليهم كل ذلك كان له أثارا سالبه علي حركة الفتح في بلاد ما وراء النهر [7] .

وكانت خطوات المسلمين الأولي إلي بلاد ما وراء النهر خطوات تمهيدية ولعل زياد بن أبي سفيان [*] أول من فطن إلي أن فتح ما وراء النهر لا يمكن أن يحقق طموحاً للمسلمين قبل استقرار الأوضاع في خراسان ، حيث نقل(50000) خمسين ألف أسرة عربية من العراق و أسكنها خراسان ولذلك يمكن القول أن أسس فتح ما وراء النهر قد بدأها زياد وتابعها بعده ابنه عبيد الله بن زياد الذي وفق في عبور النهر ودخول بخارى [*1] بعد أن اخضع مدينة بيكند [*2] الغنية ومركز التجارة [8] ولانجاز مهمة الفتح فقد وقع اختيار الحجاج بن يوسف علي قتيبة بن مسلم لإدارة خراسان عام 85هـ / 704م ، بعد أن عزل المفضل بن المهلب [*3] وكان هذا الاختيار موفقاً إذ أن قتيبة يعّد من الشجعان ، وذوي الحزم والدهاء ، ويعتبر بحق من القادة الكبار الذين أنجبتهم الأمة العربية وعرفهم التاريخ الإسلامي ففي خلال عشرة سنوات فتح أقاليم شاسعة في أسيا وهدي الله على يديه خلقاً كثيراً ، فأسلموا

---

(7) فيصل، شكري ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1974م ، ص 210 .

(*) زياد بن أبيه وقيل زياد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، أمه سمية جارية الحارث بن كلده ، كان من دهاة العرب والخطباء الفصحاء . استعمله سيدنا على بن أبي طالب ، وعمل مع معاوية بن أبي سفيان والياً في البصرة والكوفة ، توفى 53هـ / 673م.

– ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 129 .

(*1) بخارى مدينة قديمة ، وهي من أشهر مدن الصغد ، وقيل الصغد صغدان ، صغد سمرقند ، وصغد بخارى

– السيد ، عبد الطيف عبد الهادي ، مرجع سبق ذكره ، ص 285 .

(*2) بيكند بلدة بين بخاري وجيحون ، كانت بلدة كبيرة حسنة كثيرة العلماء خربت منذ زمن ،لها سور ومسجد جامع ، ينسب لها كثير من الأعيان منهم أحمد محمد بن يوسف البيكندي

– الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 1، ص 533

(8) البلاذري ، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال بيروت ،1998م ، ص 410 .

– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 453 .

(*3) المفضل بن المهلب بن أبي صفره بن فرطاس بن سارف بن غسان الازدي ، روي عن النعمان بن بشير ، روي عنه جرير من حازم ، ولاه الحجاج خراسان وعزله وولي مكانه قتيبة بن مسلم ، شهد مع أخيه يزيد ثورته ضد يزيد أبن عبد الملك ، قتل في 102هـ / 720م .

– ابن عساكر، تاريخ دمشق، مصدر سبق ذكره، ج 60، ص 97.

ودانوا لله عزَّ وجلَّ ، وقد شرف الله تعالى قتيبة بحمل راية الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر في وقت ملائم تماماً ، وكان يعتمد – بعد الله تعالى – على والى العراق الحجاج بن يوسف ، الذي إختاره لهذه المهمة الجليلة ، ووضع ثقته فيه وأمده بالرجال والعتاد والرأي والمشورة فكان من حسن حظ قتيبة أن الدولة الأموية تغلبت على جميع مناوئيها واستقرت أمورها وإستردت عافيتها في خلافة الوليد بن عبد الملك فأجتمعت لقتيبة شجاعة القائد وإقدامه وعزم الوالي وتصميمه ، وقوة الدولة واستقرارها ، فظهرت أمجاده وأعماله الرائعة في بلاد ما وراء النهر (9) .

وقد برهن قتيبة على أنه لم يكن قائداً عسكرياً وفاتحاً عظيماً فحسب ، بل انه كان رجل إدارة وتنظيم وسياسة من الطراز الأول ، وأنه كان يعرف طبيعة المهمة التي أوكلت إليه ، كما أنه كان يعرف كل شيء عن خراسان – القاعدة التي انطلقت منها الغزوات – والتي كانت رياح الخلافات والعصبيات قد ظهرت بها ، من جراء التنافس على الولاية والمناصب الأخرى بين القبائل العربية ، فكان على قتيبة قبل أن يمضي إلي تنفيذ مشروعه الكبير لفتح ما وراء النهر أن ينسي العرب خلافاتهم ويجعلهم يرتقون فوق العصبيات ، ويذكرهم برسالتهم السامية التي أكرمهم الله بها وشرفهم بحملها وأن يعدهم نفسياً لإستئناف الجهاد في سبيل الله (10) .

ولما وصل قتيبة خراسان جمع رؤساء القبائل وأعيان الناس ، وخطب فيهم خطبة بليغة ، كان لها أثرها الواضح في جمع الكلمة والتوجه نحو الجهاد في سبيل الله بدلاً من ضياع الوقت في المنازعات والخلافات القبلية التي لاطائل من ورائها وكان ما قاله قتيبة في خطبته تلك مخاطباً زعماء القبائل : (...أن الله أحلكم هذا المحل ليعز بكم دينه ، ويدفع بكم عن المحرمات ، ويستكثر بكم المال ، والعدو ذلاً ووعد نبيه صلي الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق ، فقال تعالى :(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون) (*) ، وأيضا وعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الأجر عنده

---

(9) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره، ج 9، ص 157.

(10) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة، مرجع سبق ذكره، ص 267

(*) سورة التوبة الآية (32) .

، فقال تعالى:(ذلك بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [*1] ، ثم اخبر عن الذين يقتلون في سبيله أنهم أحياء ينعمون برزق الله تعالى لهم في أعلى الجنان ، فقال تعالى :(لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [*2] . فاستفيدوا مما وعدكم به ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصي اثر، وإياكم والتهاون...) [11] .

بهذه الخطبة البليغة ذكر قتيبة العرب برسالتهم ومسؤوليتهم عنها وطلب منهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشقات في سبيل الله كما فعل أسلافهم من قبل حتى يفوزوا مثلهم بسعادة الدنيا والآخرة ، وكما نجح قتيبة في توحيد صفوف العرب في خراسان تحت راية الجهاد فقد نجح في كسب ثقة الخراسانيين وودهم حيث قربهم إليه واسند إليهم الوظائف الإدارية وضمن بذلك تعاونهم معه وكان ذلك مقدمة ضرورية وسليمة لتحقيق هدفه الكبير وهو فتح بلاد ما وراء النهر الذي استغرق عشر سنوات [12].

وبعد أن أكمل استعداداته بدأ قتيبة حركة الفتح عام 86هـ / 705م – 87هـ / 606 م ، فاخضع إقليم طخارستان ذلك الإقليم الكبير الذي يقع على ضفتي نهر جيحون والذي يبدو أن أوضاعه لم تستقر تماماً للمسلمين طوال السنوات الماضية ، فكان على قتيبة أن يخضع ذلك الإقليم لسيادة الدولةالإسلامية قبل عبور النهر ، وبعدما استتبت له الأمور في خراسان إستخلف عليها أحد قواده ، وسار هو على رأس قواته من طخارستان ووصل إلي بلخ التي خرج عظماؤها لإستقباله وساروا معه

(*1) سورة التوبة الآيتين (120– 121).

(*2) سورة آل عمران الآية (169).

(11) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 424 .

(12) عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 268 .

، ولما قطع النهر تلقاه ملك الصغانيان (*3) بهدايا ومفاتيح من ذهب فدعاه إلي بلاده ، وواصل قتيبة فتوحاته من إقليم طخارستان ثم انصرف إلي مرو (*) واستخلف على الجند أخاه صالح (*1) وما يلاحظ أن قتيبة أصبحت له هيبة عظيمة في تلك البلاد وأن طخارستان خضعت له دون قتال ، وأن ملوك وأمراء بلاد ما وراء النهر هرعوا إليه يقدمون الهدايا ويدعونه إلي بلادهم ويسلمونها إليه(13) .

هذا وقد واصل قتيبة فتوحاته عام 87هـ / 706م فعبر النهر واتجه إلي مدينة بيكند – وهي ادني مدائن بخاري إلي النهر – والتي كان المسلمون قد غزوها كثيراً قبل قتيبة – فلما نزل بغفوتهم ، استنصروا الصغد (*2) واستنجدوا من حولهم . فأتوهم في جمع كثير واخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ، ولم يصل إليه رسول ، ولم يجد له خبر منذ شهرين ، وأبطأ خبره وانقطع عن الحجاج ، فأشفق الحجاج على الجند ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلي الأمصار ، وهم يقتتلون كل يوم ، فكانت بين الناس معارك شرسة بدأوها بالرماح ثم التقوا والتحموا ، وأخذت السيوف مأخذها وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوهم حتى غابت الشمس ، ثم منح الله المسلمين النصر فتراجع الأعداء يرويدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فمنعوهم عن الدخول فتفرقوا ، وشن عليهم المسلمون وقتلوا واسروا منهم كيف شأوا وأراد قتيبة أن يهدم المدينة عليهم وسألوه الصلح ، فصالحهم وأستعمل

(*3) الصغانيان ولاية ببلاد ما وراء النهر ، كثيرة العمران والخيرات ، وتجري إليه عدة أفرع من جيحون ، واهم مدنها شومان ، وهناك مدينة مجاوره لها تعرف باسم اجرون .

– ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 409 .

(*) مرو احد قواعد أقاليم خراسان الأربع وهي مرو ، وهراة ، وبلخ ونيسابور .

– الحموي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 112 .

(*1) صالح بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي ، شقيق قتيبة بن مسلم كان معه في خراسان ، قتل مع قتيبة في فرغانة ،عندما ثار قتيبة علي الخليفة سليمان عام 96هـ / 715م .

– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4، ص 104.

(13) الطبري ، الأمم والملوك، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 425 .

– البلاذري ، مصدر سبق ذكره ، ص 516 .

(*2) الصغد تقع بين بخاري وسمرقند بها قري كثيرة ، وبها أزهار ورياض وأشجار واعتبرها العرب جنات الأرض ، وفضلها البعض على غرناطة دمشق في بلاد الشام واهم وحدات الصغد سمرقند التي يروي بعض المؤرخين أن الاسكندر الأكبر هو الذي قام ببنائها .

– الحموي ، مصدر سبق ذكره، ج3، ص222.

عليها رجل من بني قتيبة ولكنهم بعد فترة قليلة نقضوا الصلح مما اضطر قتيبة أن يرجع إليهم ويقتل من كان بها وأن يغنم غنائم كثيرة وقوى بها أمر المسلمين (14) .

ثم عاد قتيبة إلي مرو لكي يأخذ قسطاً من الراحة ليبدأ مرحلة جديدة من جهاده ، فواصل حملاته على إقليم بخاري في سنة 88هـ / 707 م وفي العام التالي (89هـ / 708م) والذي كان في فصل الصيف لقسوة الشتاء في تلك البلاد – وفي هذه السنة قصد بخاري بناء على تعليمات وأوامر الحجاج ، فتصدي له ملكها ، فلم يستطيع الاستيلاء عليها ، فرجع إلي مرو ، وكتب إلي الحجاج بخبره بعدم التمكن من دخولها، فطلب منه الحجاج أن يصفها له فبعث إليه بوصفها فنصحه وأمره وعرفه الموضع الذي يأتيها منه ، فسار إليها ثانية في 90هـ / 709م وفتحها بعد معركة انتصر فيها على جمع كبير من الصغد ومن عاونهم ، وبهذا زين قتيبة أعماله في هذه المرحلة بفتح بخارى التي كان لها في تاريخ الإسلام والمسلمين شأن عظيم (15)

وبهذه الانتصارات استطاع قتيبة أن يبسط السيادة الإسلامية في بلاد ماوراء نهر جيحون وسارت حركة الجهاد بخطوات ثابتة توجها بفتح مدينة سمرقند (*) أعظم مدائن هذا الإقليم ، وكان ملك الصغد أرسل إلي قتيبة بعد انتصاره في معركة بخاري يطلب الصلح فأجابه وصالحه ورجع إلي مرو لكن الملك نقض الصلح – الذي كان هو الداعي إليه – وامتنع عن دفع الجزية مما جعل قتيبة يغضب ، ويقرر أن يضع حداً لهذا العبث وأن يلقن هذا الملك الغادر درساً ويكون عبرة لغيره ، فجهز أخاه

---

(14) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 430 .

(15) المصدر السابق نفسه ، ج 6 ، ص 436 .

(*) سمرقند تقع جنوبي وادي الصغد ، بناها الإسكندر الأكبر وتعرضت للغزو التركي على يد طرخون ، وهي كثيرة المياه والبساتين .

– ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 247 .

– السيد، عبد اللطيف عبد الهادي، مرجع سبق ذكره ، ص 285 .

عبد الرحمن بن مسلم [*] في عشرين ألف مقاتل وسيره أمامه ، ثم تبعه هو وضرب الحصار على المدينة [16] .

فلما رأي أهل سمرقند عزم قتيبة على فتح المدينة بالقوة كتبوا إلي ملك فرغانة [*1] وغيره وقالوا لهم محرضين (... إن العرب إذا ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به ، فأنظروا لأنفسكم ...)، فأستجاب هولاء الملوك وأختاروا عدداً من أهل النجدة والبأس ووضعوا لهم خطة لمفاجأة معسكر المسلمين – أثناء انشغالهم بحصار سمرقند – ولكن قتيبة لم يكن بالقائد الذي يؤخذ على غره ولم يغب عن فكره حدوث مثل هذه المفاجآت فعلم بخبر هذا التجمع ، وفاجأهم قبل أن يفاجئوه بفرقة من جيشه بقيادة أخيه صالح بن مسلم فهزمهم وبدد شملهم وقتلهم ولم يفلت منهم إلا القليل وغنم منهم المسلمون أمتعتهم وأسلحتهم و تدهورت معنويات الصغد بعد أن رأوا هزيمة أهل فرغانة ، وهذا النصر قوي عزيمة المسلمين ورفع معنوياتهم وقرر قتيبة تشديد الحصار على سمرقند [17] .

وبعد ذلك نصب قتيبة المنجنيق ، وصاح كالأسد (: حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان ، إني والله لئن أصبحت لاحاولن من أهلك أقصي غاية) فلما أصبح أمر الناس بالجد في القتال ، فقاتلوا واشتد القتال ، ولما رأي أهلها أن هزيمتهم أصبحت حتمية طلبوا الصلح فصالحهم قتيبة على(2000) الفي ألف مثقال و(200000) مائتي ألف كل عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يخلو المدينة فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيدخلها ويبني فيها مسجداً يخطب فيه

(*) عبد الرحمن بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي من القادة الشجعان ، لازم أخوه قتيبة في غزواته في منطقة ما وراء النهر ، قتل 96هـ / 715 م

– الزركلي ، مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 337 .

(16) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ، ص 571 .

(*1) فرغانة مدينة واسعة توجد في أعالي نهر سيحون واهم مدنها اخشيكش عاصمتها القديمة وهي متاخمة لتركستان بالقرب من سمرقند وهي كثيرة البساتين واتخذها الساميون عاصمة لهم .

– الحموي، مصدر سبق ذكره، ج 4 ، ص 253 .

– السيد، عبد الطيف عبد الهادي، مرجع سبق ذكره، ج 286 .

(17) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سبق ذكره، ج6، ص 474.

– عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة، مرجع سبق ذكره، ص 271.

ويخرج ، وبالفعل دخل المدينة وحطم ما بها من أصنام ولم يعبا بتخويفه منها حيث قال له احدهم : لا تتعرض لهذه الأصنام فان بها أصناماً من احرقها أهلكته فقال : أن احرقها بيدي ، فأمر بإشعال النار ، وكبر ثم احرقها ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال ، وهكذا بسط قتيبة السيادة الإسلامية على كل أقاليم ما وراء النهر ثم عاد إلي مرو ليستريح ويريح جنده للاستعداد لجولته الأخيرة [18] .

هذا وقد واصل قتيبة حركة الفتح فعبر نهر سيحون [*] عام 94هـ / 713م لأول مرة ومع قوات هائلة منها (24000) أربعة وعشرون ألفاً من أهل بخارى وخوارزم[*1] فوجه قسماً منهم إلي الشاش [*2] وتوجه هو على القسم الأخر إلى فرغانة فخاض معركة شرسة ويبدو أن نتيجة المعركة لم تكن حاسمة ، لان قتيبة توجه إلي كاشان [*3] ، وهناك أتاه جنوده الذين أرسلهم إلي الشاش ، و يبدو أنه لقي مقاومة عنيفة مما جعله يطلب مدداً من الحجاج الذي لم يتوان عن إمداده بقوات من العراق [19]

ولكي يحتفظ المسلمون بإقليم فرغانة ، توجَّب عليهم فتح منطقة كاشفر التى تقع شرقي الإقليم والتي يسكنها الترك وكما كانوا يقطنون فرغانة . وفي

---

(18) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج6 ، ص 476 .

(*) نهر سيحون هو أحد أنهار وسط أسيا وأحد أكبر نهرين في أوزبكستان وعرف بالحد الفاصل بين كل من أفغانستان وطاجكستان وأزبكستان ويبلغ طول هذا النهر 1600 ميل ، عرف قديماً بأسم أكسوس .

– البستاني ، المعلم بطرس ،مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص615.

(*1) خوارزم ليس أسم للمدينة إنما هو أسم للناحية كلها ، أما قصبتها العظمي فيقال لها اليوم الجرجانية ومن مدنها كات ، وكلمة خوار في اللغة الخوارزمية تعني اللحم ورزم تعني الحطب ، وطباع أهل خوارزم مثل طباع البربر ويسكنها قوم من الأتراك والتركمان .

. الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 395.

(*2) الشاش هو إقليم متاخم لبلاد الترك وإقليمها اكبر إقليم بما وراء النهر وخراسان وأهلها يتبعون المذهب الشافعي طولها مائة واربع وعشرون درجة، عرضها خمس وأبعون درجة .

. الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج3، ص 308.

(*3) كاشان تعرف بأنها رابع أهم مدينة إيرانية من حيث وجود الآثار التاريخية ، وهي رائدة في الفن المعماري الإيراني وغنية بالجمال التاريخي الأصيل ، وتعرف عالمياً بسجادها الذي تقوم بصناعته . وينسب إليها الملك انو شروان ، وسيطر عليها الأتراك وكان ملوكها منهم يلقبون بالإخشيد

– السيد ، عبد اللطيف عبد الهادي ، مرجع سبق ذكره ، ج 4 ، ص 286 .

(19) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 492 .

سنة ست وتسعين الهجرية (714م) غزا قتيبة مدينة كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين وأقربها إلى فرغانة ، وسار قتيبة من مرو عاصمة خراسان على رأس جيشه، وحمل الناس أمتعتهم لتستقر في سمرقند وعبر الجيش الإسلامي نهر جيحون، فاستعمل قتيبة رجلاً على معبر النهر، ليمنع من يرجع من جنده إلا بجواز منه وبموافقته الخطية ، ومضى جيش المسلمين إلى فرغانة، مروراً بسمرقند، حيث أبقى الناس أمتعتهم فيها بحماية المسلمين من أهل سمرقند، وكان الإسلام قد انتشر فيها انتشاراً سريعاً موفقاً ، كما أمر محمد بن القاسم (*) أن يوجه إليه أيضاً مدداً من السند[20] .

ويبدو أن إحتياج قتيبة إلي إمدادات من العراق والسند فوق ما معه من قوات كبيرة يعكس المقاومة الشرسة التي لقيها في إقليم سيحون ، وانه كقائد عسكري ممتاز لم يشأ أن يخوض معهم معارك حاسمة إلا بعد أن يضمن التفوق عليهم حتى يتحقق له النصر ، وقد نجحت خطط قتيبة وفتح أقاليم الشاش وفرغانة سنة (95هـ / 714 م) وكان للحجاج دور كبير في هذه الفتوحات فهو الذي كان يقف خلف قتيبة ويشد من أزره بكل عزم وتصميم وأهم من هذا كله الثقة الكبيرة بين الرجلين والتي هي من أهم عوامل النجاح الكبير الذي تحقق، وحينما سمع قتيبة بموت الحجاج إغتم غماً شديداً [21]

ولم كان الخليفة الوليد يعرف طبيعة العلاقة بين الحجاج وقتيبة لذلك أرسل إليه يعزيه في وفاة الحجاج وكانت في هذه الرسالة مواساة وتشجيع لقتيبة وفيها قال الوليد (: لقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين دافعك وصانع لك الذي يجب لك فأتمم مغازيك ، وأنتظر ثواب ربك ، ولا

(*) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن عم الحجاج بن يوسف الثقفي ، الفتي الشجاع والفاتح العظيم ، ولد سنة 72هـ / 691م مارس الحرب وهو يافع في جند المسلمين بخراسان وتوسم منه الحجاج والي العراقيين البطولة والنجدة والإقدام على المخاطر والعظائم فولاه قيادة جيش فيه ستة ألاف من الجند وعهد إليه فتح السند وكان عمره سبع عشرة سنة وأمره بالسير من فارس إلي الري ، قتل سنة 98هـ / 717 م .

– بك، محمود نصير، مرجع سبق ذكره، ص 185.

(20) خطاب ، محمود شيت ، فتح كاشغر ، مجلة الأمة ، العدد 50 ، صفر 1405هـ .

(21) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة مرجع سبق ذكره، ص 273

تغب كتبك عن أمير المؤمنين ، وكأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه). [(22)] .

ب/ محاولة فتح بلاد الصين [(*)] :-

لم يكتف قتيبة بما فتحه في بلاد ما وراء النهر بل مضي قدماً في سنه 96هـ / 715م إلي حدود الصين على رأس جيش كثيف ، وبينما هو في طريقه إليها جاءه نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك فلم يثنيه ذلك عن مواصلة الغزو ، بل تابع غزوه وسيره حتى قرب من الصين ، فأرسل إلي ملكها وفداً برئاسة هبيرة بن المشمرج [(1*)] وبعد أن دارت بينه وبينهم عدة مراسلات قال ملك الصين موجهاً كلامه إليهم : (... انصرفوا إلي صاحبكم فقولوا له ينصرف، فأني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا ابعث عليكم من يهلككم ويهلكه...) فقال له هبيرة : (... كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وأخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنّ لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه ...) . فأجابه ملك الصين: فما الذي يرضي صاحبك ؟ فقال هبيرة (أنه قد حلف إلا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطي الجزية) فقال الملك : فإننا نخرجه من يمينه : نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ، ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان

---

(22) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سبق ذكره، ج 6، ص 492 .

(*) الصين تعرف بالشرق الأقصى فهي دولة كبري في أسيا ممتدة فهي بلاد ذات حضارة قديمة أشبه بالحضارة المصرية القديمة ، فإذا كانت مصر هي هبة النيل ، فالصين هي هبة النهر الأصغر وعرفت الصين أسراً عديدة مثل شانغ واينغ ولكن انقسمت الصين بسبب ضعف السلطة وعادت إليها الوحدة على يد الملك تسن شي .

- السيد، عبد اللطيف عبد الهادي ، مرجع سبق ذكره ، ج 4 ، ص 289 .

(1*) هبيرة بن المشمرج الكلابي كان رجلاً مفوهاً سليط اللسان ، بعثه قتيبة بن مسلم الي ملك الصين ومعه أثني عشر رجلاً وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن .

- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ،ج6، ص ، 502.

من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الوفد فساروا حتى قدموا على قتيبة ، فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ثم عاد إلي مرو ، ويكون بذلك أبر بقسمه [23]

وبوفاة قتيبة توقفت الفتوحات في هذه الجبهة عند الحد الذي تركها هو عليها بعد أن ثبت أقدام العرب وقد هابه الأعداء مهابة عظيمة وفي أواخر أيامه وكان مجرد ذكر اسمه يوقع الهلع والخوف في نفوس خصومه وأعدائه [24] .

ت / فتح بلاد السند :-

ترجع حملات المسلمين إلي بلاد الهند إلي عهد بعيد ، فقد أرسلوا أولي حملاتهم بعد إنتقال الرسول صلي الله عليه وسلم إلي جوار ربه بخمس عشرة سنة ، ومن ثم أخذ سيل العرب يتدفق على تلك البلاد وأستمر تدفقهم أكثر نحو تلك البلاد واستقر بعضهم فيها ، وكونوا ممالك كان لها أثر كبير في تقدم الحضارة الإسلامية ، ولما تولي سيدنا عثمان بن عفان الخلافة كتب إلي واليه في العراق وأمره أن يوجه إلي الهند رجلاً يستطلع أخبارها ويصفها له فوجه لها رجلاً من رجاله فلما رجع وصفها له ولم يغزو هذه البلاد احد وعندما تولى الخلافة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجه إليها حملة غنمت كثيراً من الغنائم والأسرى ، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان غزا المهلب بن أبي صفره وامتدت فتوحه إلي الأراضي الهندية [25] .

وفي مطلع خلافة الوليد بن عبد الملك ولي الحجاج محمد بن القاسم الثقفي على السند ، وأرسل إليه (6000) ستة ألاف مقاتل من جند الشام وجهزه بكل ما يحتاج إليه وكان ذلك عام 89هـ / 709م ، وكانت أولي معاركه هي المعركة التي انتهت بفتح الديبل [*] وبعد أن ترك الديبل وافته السفن التي كانت تحمل الرجال والسلاح وأدوات الحصار ومنها المنجنيق وبعد حصار طويل ورمي كثيف بالمنجنيق

---

(23) المصدر السابق نفسه ، ج 6 ، ص 503 .

(24) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج6 ، ص 508 .

- عبد الرحيم ، حياة سيد أحمد ، قتيبة بن مسلم ودوره في بناء الدولة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2003 م ، ص 46 .

(25) حسن ، (الدكتور) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 304 .

(*) الديبل مدينة مشهورة علي ساحل بحر الهند والديبل في الإقليم الثاني ، ينسب إليها قوم من الرواة منهم أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي.

. الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 495.

، استطاع أن يفتح محمد بن القاسم هذه المدينة واستمر القتال فيها ثلاثة أيام ، وقد حطم محمد بن القاسم العديد من أصنام هذه المدينة واستبقي حامية قوامها (4000) أربعة آلاف مقاتل وبني فيها مسجداً ، وكان لاستيلاء محمد بن القاسم على الديبل اثر كبير على الفريقين العرب الفاتحين وأهل السند الذين هرعوا إليه طالبين الصلح ، وواصل محمد بن القاسم فتوحاته وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبرها نهراً بعد نهر وحقق انتصارات واسعة في مراحله الأولي [26] .

ورغم كل هذه الانتصارات الرائعة التي حققها محمد بن القاسم ، والمدن التي دانت له إلا أنه كان يعلم أن المعركة الحاسمة لم تقع بعد مع داهر [*] ملك السند والذي انسحب أمامه ليطل خطوط مواصلاته ، وليختار هو مكان وزمان المعركة الفاصلة ، فقرر محمد بن القاسم أن يعاجله ، قبل أن يستكمل استعداداته فعبر نهر مهران [*1] على جسر أقامه عليه وبمجرد عبوره بدأ داهر المعركة واقتتلوا قتالاً شديداً وانجلت المعركة عن هزيمة كبيرة لداهر الذي لقي مصرعه في ميدان المعركة [27] .

فذكر الذي قتل داهر :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا	****	ومحمد بن القاسم بن محمد
إني فرجت الجمع غير معرد	****	حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلاً	****	متعفر الخدين غير موسد [28]

وبعد انتصار محمد بن القاسم على داهر ومصرعه سار يستكمل فتح بقية أقاليم السند فاستولى على حصن راور [*2] بعد المعركة وكانت امرأة داهر به ،

---

(26) البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سبق ذكره ، ص 536 .

(*) داهر من أعظم ملوك السند ، قتل علي يد الجيش الإسلامي وكان يمتطي فيله وحوله الخيول والجيوش العظيمة وبقتله تم فتح بلاد السند .

– ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 251.

(*1) نهر مهران يصب في خليج فارس وهو نهر بقدر دجلة .

– بك ، محمد الخضري ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 170 .

(27) بك ، محمود نصير ، مرجع سبق ذكره ، ص 186.

(28) البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سبق ذكره ، ص 536 .

(*2) حصن راور مدينة كبيرة بالسند .

فخافت أن تقع أسيرة فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار نحو الرور [*3] فلقيه أهل ساوندري [*4] فسألوه الأمان والصلح ، فصالحهم وأمنهم ثم وصل إلي الرور وهي كبري مدائن السند فضرب عليها الحصار حتى طلب أهلها الصلح والأمان فقبل منهم ووضع عليهم الخراج وبني بها مسجداً [29] .

هذا وقد واصل محمد بن القاسم مسيره حتى وصل الملتان [*] فحاصرها ويبدو أن حصارها طال لان المسلمين نفذت أقواتهم مما دفع بمحمد بن القاسم أن يقطع الماء عن أعدائه ، فلما غلب عليهم العطش نزلوا على حكمه فقاتلهم وأصاب منها كثيراً من الذهب حتى سميت الملتان فرج بيت الذهب وهكذا أصبح وادي السند كله في قبضة محمد بن القاسم فجاءته القبائل تقرع الأجراس وتدق الطبول فرحة ومرحبة ، لان الفتح الإسلامي قد حررهم من الاستبداد وامنهم على أنفسهم وأموالهم [30] .

وخلاصة ما سبق فقد استطاع الوليد بن عبد الملك أن يحقق توسعاً في بفضل إبقائه علي قادة تميزوا بالحكمة وحسن القيادة والاقدام فتم فتح بلاد ماوراء النهر ووصلت جيوشهم إلي الصين وكما تم فتح اقليم السند .

– الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 214 .

(*3) الرور ناحية بالسند تقرب من الملتان .

– الصلابي ، مرجع سبق ذكره ، ص 63 .

(*4) ساوندري مدينة في منطقة الرور.

– خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح السند وأفغانستان ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، 1998م ، ص 214 .

(29) عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مرجع سبق ذكره ، ص 364 .

(*) الملتان مدينة قرب الهند وهي من أعظم مدن السند الأعلي وأقوي حصونه بها معبد من أكبر معابد الهنود وبهذا المعبد صنم كبير يعظمه الهنود ويحجون إليه ويتقربون إلي الصنم في كل سنة بمال عظيم وبهذا المعبد قناطير مقنطرة من الذهب والفضة .

– خطاب ، محمود شيت ، مرجع سبق ذكره ، ص 123.

(30) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سبق ذكره، ج 4 ، ص 539 .

الفصل الرابع

فتوحات الوليد بن عبد الملك

في الأندلس

أ/ الأندلس [*] قبيل الفتح الإسلامي:-

عانت الأندلس في الفترة الأخيرة من حكم القوط [*1] ، ضعفاً سياسياً وتفككاً اجتماعياً جعلها سهلة لأي فاتح يقبل عليها من الشمال أو الجنوب، فسيطر على المجتمع نظام الطبقات فتكونت الطبقة العليا من الملوك أو النبلاء وكان الملك القوطي يعين بالإنتخاب لا بالوراثة من أسرة الفاتح الأول فالملكية القوطيه كانت ملكيه إنتخابيه وعلي الرغم من محاسن هذا النظام الذي يجعل الحكم للأصلح ، إلا أنه أدي في النهاية إلي وجود تنافس مستمر بين النبلاء للوصول إلي العرش فكثرت الدسائس والمؤامرات التي أضعفت من قوة الدولة وأفراد هذه الطبقة كان نفوذهم غير محدود كما كانت ممتلكاتهم شاسعة ومعفاة من الضرائب.[1]

والطبقة الثانية في المجتمع هي طبقة رجال الدين وأفراد هذه الطبقة كانوا يتمتعون بنفوذ غير محدود لأن الدين في العصور الوسطي كان مسيطراً علي كل شئ تقريباً لدرجة أن بعض الناس كان يعتقد أن رجل الدين في استطاعته أن يدخله الجنة أو

(*) الأندلس يقصد بها اسبانيا الإسلامية وكان هذا الاسم يطلق علي شبه جزيرة ايبيريا علي اعتبار إنها كانت في أيدي المسلمين ، ثم نقص هذا الاسم تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الاسلاميه في شبه جزيرة ايبيريا حتى اقتصر علي مدينة قرناطه ، وهي أخر مملكه إسلاميه سقطت في اسبانيا ، ومن ناحية جغرافيه تقع الأندلس جنوب غرب قارة أوربا، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق البحر الأبيض المتوسط وتفصلها عن جنوب فرنسا جبال تسمي جبال البرت وجنوباً يحدها مضيق الزقاق الذي يفصلها عن أفريقيا .

– العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية بدون تاريخ ، ص 19.

(*1) القوط هم أعظم فروع الجرمان الشرقيين الذين أستطاعوا بقيادة ألاريك السيطرة علي القسم الغربي من الدولة الرومانية وتمكنوا من إحتلال إيطاليا وفرنسا.

– سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ ، ص 52 .

(1) العبادي ، أحمد مختار، مرجع سبق ذكره ، ص 51 .

النار كما لرجال الدين نفوذ سياسي بالإضافة إلي نفوذهم الروحي الذي يتمتعون به (2).

وكسب رجال الدين لطائفتهم نفوذاً كبيراً في شؤون الدولة وتقلدوا المناصب العليا في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لإقرار الشؤون المهمة في الدولة والمصدقة علي انتخاب الملك ، وادعت لنفسها الحق في عزله إذا رفض الإذعان لقراراتهم وأتخذ بعض رجال الدين من النفوذ الذي وصلوا إليه سبباً لإضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيره العدد في اسبانيا، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من أمتنع عن دخول المسيحية ، وحاول اليهود إشعال الثورة مراراً لما نزل بهم من الضيق ولكنهم لم يفلحوا في محاولاتهم ونهبت ديارهم وأضطر كثير منهم إلي إعتناق المسيحية ، أما الطبقة الوسطي فقد كانت تلاقي من ضنك العيش اسوأ مما كانت تلاقيه طبقة العبيد ، فكان يقع عليهم عبء الإنفاق علي الدولة ، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما أوصل إلي انهيار هذه الطبقة وإفلاسها وهذا ما أصاب اسبانيا من بؤس وشقاء ؛ فقد قيل أن الوباء تفشي وانتشر حتى مات أكثر من نصف سكانها، أما الطبقة الدنيا فهي طبقة العبيد الذين انصرفوا الي الزراعة. (3)

تلك هي حالة بلاد الأندلس في الوقت الذي كان أهل شمال أفريقيه (*) يتمتعون بحكم العرب والمسلمين وينعمون بعدلهم، فلا عجب أن تمني الأسبان وطمعوا في الخلاص من ظلم وقهر حكم القوط وكانوا لا يأبهون لتغلب حاكم علي حاكم ، فقد وصل العرب في أوائل القرن الثامن الميلادي إلي سواحل المحيط الأطلسي بأفريقيا ونظروا بأبصارهم إلي ولايات اسبانيا المشرقة وكان قد مضي علي حكم القوط قرنين من الزمان ، ولذلك حاولوا في النصف الثاني من القرن الأول

---

(2) المرجع السابق نفسه، نفس الصفحة .

(3) حسن، إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره ، ج 1، ص 306.

(*) أفريقيا هي بلاد ممتدة من جزيرة صقليه شرقاً حتى شبه جزيرة الأندلس غرباً، وتنسب إلي أفريش ابرهةً .

- ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 1، ص 288.

الهجري غزو اسبانيا من ناحية أفريقيا فأغاروا علي السواحل الاسبانية بعد محاولات كثيرة منهم للوصول إليها .[4]

ب/جهود طارق بن زياد في فتح الأندلس :

عندما وصل عقبة بن نافع[*]بلاد المغرب الأقصى 62 هـ /682م راودته فكرة فتح الأندلس فالتقي عند وصوله طنجه [*1] يليان[*2] حاكم سبته من قبل الروم الذي أهدي له هدية حسنه ونزل على حكمه ، ونصحه بألاّ يترك كفار البربر [*3] خلفه ويرمي بنفسه في الهلاك مع الفرنجة [*4] إذ أن البحر سيكون مانعاً لوصول

---

(4) حسن (الدكتور) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ج 1، ص 307.

(*) عقبه بن نافع بن عبد قيس بن عامر بن أميه بن الحارث بن فهر بن مالك الفهري ، روي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ،وروي عنه ابنه أبو عبيده وعبد الله بن هبيرة وعلي بن رباح ، ولد عقبه قبل الهجرة وقيل قبل وفاة النبي صلي الله عليه وسلم بسنه ، استشهد63هـ 682م في معركة تهودا .

- ابن عساكر، تاريخ دمشق ، مصدر سبق ذكره ، ج 40 ، ص 525.

(*1) طنجة هي مدينة على مرفأ الساحل الأفريقي من بلاد مراكش، تبعد ألف ميل من القيروان وهي كثيرة القلاع والأسواق ، وهي مرسي للسفن .

- ابن عذارى ، أبو محمد عبد الله ، البيان في المغرب ، دار الثقافة بيروت ، 1984م ، ج 1 ، ص 26 .

(*2) يليان هو حاكم منطقة سبته ، وينتمي إلي القوط ، وكان يتبع لملك الأندلس المسمي لزريق ويحكم المغرب باسمه واختلفت المصادر في شخصيته بعضها ذكرت أنه قوطي وأخري تنسبه إلي الروم وثالثه إلي بربر عماره.

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 213.

(*3) البربر هي مشتقه من بربري أي همجي ، لأن الأوربيين اعتبروهم أعاجم علي حضارتهم وكانت بداية التسمية برابره ثم إلي بربر أو برابرة، وقيل إن أول من أطلق عليهم الاسم هذا هو افريقش احد الملوك الذين غزوا المغرب ،وقال لسكانها : ما أكثر بربرتكم ، لما رآه فيهم من تنوع واختلاف في اللغة فسموا بالبربر.

-ابن خلدون ،العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج 4 ، ص 176.

(*4) الفرنجة هم مجموعة قبائل جرمانية غربية ، شكلت ماعرف بأسم تحالف القبائل الجرمانية الذين دخلوا الإمبراطورية الرومانية من خلال مايعرف اليوم بالمانيا ، أستوطنوا المناطق الشمالية من بلاد الغال (فرنسا حالياً) وأجزاء من غرب ألمانيا وأسس كلوفس ملك الفرنجة المملكة التي عاشت طوال العصور الوسطي وتولدت منها دولة فرنسا في التاريخ الأوربي وأستطاع كلوفس أنزال الهزيمة بساجريوس الذي كان يمثل آخر بقايا الإدارة الرومانية في حوض السين وكانت حركة الفرنجة تختلف في طابعها عن بقية القبائل الجرمانية الأخرى لأنها كانت حركة توسعية أكثر منها هجرة طابعها الغزو .

- عبد الجبار ، نعمات عمر وقسم السيد محمد ، التاريخ الأوربي ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، الطبعة الأولي ، 2005 م ، ص 31 .

المدد اليه ويبدو أن هدف يليان من هذا النصح أن يحافظ على موقعه حاكماً للقاعدة المتقدمة في الدفاع على الأندلس .(5)

وعاد المد العربي إلي بلاد الأندلس في عام 89هـ / 709م وعام 90هـ/ 710م بقيادة موسي بن نصير (*) فوصل المغرب الأقصى ولم يبق من قلاع المقاومة الحصينة سوي سبته (*1) فوضع موسي بن نصير حامية قوتها(19000) تسعة عشر ألف مقاتل من البربر الذين أنخرطوا معه في جيشه بقيادة طارق بن زياد (*2) وكانت مهمتة أحكام السيطرة على سبته والتضييق عليها وإرغامها على الاستسلام ، وكان طموح فتح الأندلس يراود مخيلة موسي غير أنه أجل مشروعه إلي حين سقوط سبته ، وخلال هذه الفترة كان موسي بن نصير يطور العمليات البحرية تنفيذاً لمشاريعه المقبلة .(6)

جاء فتح المسلمين إلي بلاد الأندلس الذي يعتبر من أهم الأحداث التي وقعت في التاريخ القومي الاسباني ، وقد شاءت إرادة الله أن تهيئ هذا الفتح

---

(5) العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، بيروت ،1988م ، ج2 ، ص 257.

(*) موسي بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد ، ولد في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب 19هـ / 640 م ، موطنه ومسقط رأسه عين التمر وقيل ارشه ، واختلف حول أصله فيروي أنه من لخم وقيل انه من بكر بن وائل ، وقد سبي والده من جبل الخليل في الشام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وصف موسي بأنه من التابعين ، وروي عن تميم الداري ، وروي عنه ابنه عبد العزيز ويزيد بن مسروق ، كان تقياً ، كريماً ، شجاعاً ، وكان أول عهد موسي بالقيادة توليه قيادة البحر أيام معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه وكان من أنصار عبد الله بن الزبير ، واشترك في معركة مرج راهط وعند انتصار مروان هرب موسي إلي مصر والتجأ إلي عبد العزيز بن مروان الذي توسط له بالصلح عند أبيه ، توفي في وادي القرى 97هـ / 716 م .

– الطاهر ، أمين أحمد ، دور القائد موسي بن نصير في بلادي المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة ، 2000 ، ص 33 – 34 .

– العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ج 2 ، ص 294 – 295 .

(*1) سبته هي احدي مدن المغرب وتقع على البحر، تقابل الأندلس على طرف مضيق الزقاق .

– ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 80 .

(*2) طارق بن زياد الليثي ، أصله من البربر ونسبه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغر بن ورفجوم بن بنرغاس أبن ولهاص بن يطوفث بن نغزوا ، اسلم على يد موسي بن نصير ، فكان من اشد رجاله باساً ، بعد أن أتم موسي فتح طنجة ولي عليها طارق توفي سنة 102هـ / 721م .

– ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 212 .

– ابن عساكر ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 38 .

(6) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ج 2 ، ص 258 .

للمسلمين ، ويعتبر فتح الأندلس امتداداً لحركة الفتوح العامة التي كان باعثها الأول نشر الإسلام وتبليغه للناس ، وقد كانت الظروف في عهد الوليد بن عبد الملك مواتية لنشاط الفتوح ، حيث كانت الأحوال العامة للدولة الإسلامية مستقرة ، مما أدي إلي التوجه العام للجهاد رسمياً وشعبياً كما أن الأحوال في افريقية كانت محفزة ويتطلع من فيها من المسلمين إلي الجهاد وكانت الأندلس محكومة من قبل القوط وقد قام يوليان بالاتصال بطارق بن زياد وعرض عليه فتح الأندلس وكان غرضه في ذلك أن العرب بعد فتحها سيعودون إلي بلادهم مما يمكن أبناء غيطشه [*] من العودة للاستيلاء على ملكهم المغتصب ، فكتب طارق بن زياد إلي موسي بن نصير يستشيره في فتح الأندلس فما كان من موسي إلاّ أن كتب الي الوليد بن عبد الملك ، فكتب الأخير يخوفه من الفتح ويطلب منه اختبارها بالسرايا[7]

كلف موسي بن نصير طريف بن مالك[*1] بالعبور إلي الأندلس وكان قائداً مقتدراً حازماً ، قاد سرية استطلاعية من(400) أربعمائة رجل و(100) مائة فارس عبرت على السفن بمساعدة سفن يوليان ونزل بجزيرة بالقرب من الساحل والتي أطلق عليها فيما بعد بجزيرة طريف ، ونزلت السرية بساحل الأندلس وعادت محملة بالغنائم مستكشفة الطريق إلي الأندلس وأكدت هذه الخطوة الاستطلاعية ولاء يوليان وأدت إلي اطمئنان موسي على الوضع في الأندلس فشرع بعد ذلك في الأعداد لغزوها واختار لهذه المهمة طارق بن زياد وبدأ تنفيذ عملية الفتح وفقاً لما يلي:. [8]

1/ الإنزال في الأندلس:-

(*) غيطشه من ملوك الأندلس تولي العرش بعد وفاة أبيه ، وخلع نتيجة لثورة قام بها أنصار لذريق .

- خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح المغرب العربي ، دار الفكر ، بغداد ، 1984م ، ص 242 .

(*1) طريف بن مالك اليعافري النخعي وهو بربري الأصل ، ويكني بأبي زرعه وقيل أنه من موالي موسي بن نصير ، وكان بارعاً في فنون الحرب والقتال .

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 561 .

- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 183 .

(7) عوض الله ، الشيخ الامين محمد ، تاريخ المغرب والأندلس ، مطبعة جامعة النيلين ، الطبعة الثانية ، 1995م ، ص 12 -13

(8) الطاهر ، أمين أحمد ، دور القائد موسي بن نصير ، مصدر سبق ذكره ، ص 62 .

- عوض الله ، الشيخ محمد ، تاريخ المغرب والأندلس ، مرجع سبق ذكره ، ص 13 .

قاد طارق بن زياد جيشه الذي تكون من(7000) سبعة ألف مقاتل وبدأت عملية العبور من سبته تباعاً في سفن يليان ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي عرفت منذ ذلك اليوم باسم جبل طارق ثم توقف فيها و تجمع كل أصحابه عند هذا الجبل وانطلق لفتح الجزيرة الخضراء [*] وعندما حدث إنزال قوات العرب المسلمين في جنوب الأندلس ، كان لزريق [*1] يقود جيشه ويقاتل في ارض بنبلونه [*2] ولما علم بأمر الإنزال وعرف أن يليان يعمل مع قوات العرب المسلمين حليفاً لهم عظم عليه الأمر واقبل حتى وصل مدينة قرطبة [*3]ونزل في القصر المعروف ببلاط لزريق وبقي فيه أياماً بينما ظلت الحشود تتوافد إليه [9].

فلما اقتحم طارق بن زياد الأندلس استنفر لزريق أهل الأندلس ، وكتب إلي أولاد غيطشه يدعوهم إلي الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من التخاذل عنه ويحضهم على أن يكونوا يداً واحده على عدوهم وكان أولاد غيطشة قد ترعرعوا علي ركوب الخيل فلما وصلتهم دعوة ردوريك هبوا لنصرته وحشدوا قوتهم وقدموا عليه بقرطبة ولم يطمئنوا إلي الدخول على لزريق آخذين الحذر إلي أن خرج جهاز رودريك للحرب فانضموا إليه ومضوا معه ، ولما علم طارق أن عسكر رودريك نحو(40000) أربعين ألف جندي في عدة وعتاد كتب إلي موسي يمده بمدد من عنده ويخبره بفتح الجزيرة الخضراء لأن رودريك زاحف إليه بما لاقبل له به وكان

(*) الجزيرة الخضراء مدينة امام سبته تقع جنوب الأندلس ، وقيل إنها من أجمل المدن وأطيبها واجمعها لخير البر والبحر ، تتوسط مدن السواحل ومرساها من أحسن المراسي وأرضها ارض زرع وضرع وانتاج ، وعندما ما يخرج الإنسان في بابها يجد المياه الجارية و البساتين النضرة .

– الحميري ، الروض المعطار في خير الأقطار ، مصدر سبق ذكره ، ص 75 .

(*1) لزريق وصل الي الحكم بعد موت الملك غيطشة ، وتجمع معظم المصادر أن لذريق حاكم مقاطعة بيتيكا قام بثورة على الملك وتمكن من خلعه وقتله .

– الصوفي ، الدكتور خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، الفتح وعصر الولاة ، منشورات جامعة قارينوس ، كلية الآداب ، بدون مكان ، 1980م ، ص 68.

(*2) بنبلونه مدينة بالأندلس ، قليلة الخيرات ، تحيط بها جبال عالية ، أهلها فقراء .

– الحميري ، مصدر سبق ذكره ، ص 55 .

(*3) قرطبة كانت أعظم مدينة بالأندلس تقع على الوادي الكبير وليس في الأندلس واد يسمي باسم عربي غيره ، وهي من أحسن البلاد مبان ، وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهراً وباطناً ،وأعدلها هواءً .

– الحميري ، المصدر السابق نفسه ، ص 552 .

(9) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 262 .

موسي منذ أن وجه طارق اخذ يعمل في السفن حتى صار عنده منها عدد كثير فحمل(12000) أثني عشر ألفاً ومعهم يليان المستأمن إليهم في رجاله وأهل عمله يدلهم على العورات ويتتبع لهم الأخبار بعد ما ضمن ولاء أهله وحثهم على كتمان خبر هذه التحركات ووعدهم بأن المسلمين سوف يوفون لهم حقهم الضائع لذا اجتهدوا في مساندته [10] .

2/ معركة شذونه [*] (وادي لكه) :-

التقي الطرفان في 92هـ / 711م وبدأت المعركة على نحو ما كان أسلوب القتال متبعاً، فأخذ الجند يتبادلون بالسهام ، وفي الوقت الذي كان فيه كل طرف يستطلع خصمه لمعرفة نقاط ضعفه ، وحشد القادة قواتهم في وادي لكه – قرب مدينة شذونه وأخذت الاشتباكات في تصاعد حتى تحول إلي قتال شديد وأرسل لزريق أحد أتباعه الذي وثق فيه ليتجسس على جيش طارق ويعرف مقدار قواته ونقاط ضعفه ، فأقبل ذلك الرجل حتى اطلع على جيش طارق ، فوثب عليه جماعة من المسلمين فولي هارباً فزعاً ، وعندما وصل لزريق اخبره بأنه جاءه منهم من لايريد إلا الموت ، فقد حرقوا مراكبهم حتى لايتعلقوا بها ، ودخل الرعب إلي نفس لزريق مما سمع عن هؤلاء العرب ومدي تحمسهم للقتال[11]

ويبدو أن أولاد غيطشة اعتقدوا أن هؤلاء الفاتحين لا حاجة لهم في الاستيطان وإنما هدفهم الاستحواذ على الغنائم ثم الخروج عن الأندلس لذلك اجمعوا على الغدر بلزريق فأرسلوا إلى طارق يسألونه الأمان على أن يميلوا إليه عند

---

(10) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي القاهرة ، 1961م ، ص 205 .

(*) شذونه هي من المدن الأندلسية المليحة ظاهراً وباطناً ، كثيرة العمارة و الأرزاق وفيها نهر مستحسن عليه بساتين ومناظر ، وتقع جنوب غرب الأندلس ونزل بها قديماً عرب من فلسطين .

- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سبق ذكره ، ج 5 ، ص 244 .

(11) العسلي بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 264 .

اللقاء فيمن تبعهم وأن يسلم إليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالأندلس كلها وكانت (3000) ثلاث آلاف ضيعة ونفائس مختارة وما كان من طارق إلا أن أجابهم إلي ذلك وعاهدهم عليه وكان لزريق قد عين ولدي غيطشه لقيادة ميمنة جيشه وميسرته ، وكان لهما تأثير قوي على أتباعهما ، فوقف رودريك في ساحة المعركة على سريره محمولاً على دأبتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت تحف به الأعلام وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم الإيمان والنظام والإخلاص ، وأما طارق فأقبل في بساطة يحفه أصحابه الذين عمر الإيمان قلوبهم متقلدين سيوفهم ورماحهم وشعروا بالرهبة لتفوق عدوهم ، وعندما شعر طارق بذلك الإحساس ينتاب جنوده ، وقف يستحثهم ويستثير حماسهم فقال لهم : (أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم سوي سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ماتستخلصونه من عدوكم) وبهذه الخطبة التي ألقاها والتي كانت لها أثرها وصداها في تشجيع الجيش الفاتح على الجهاد وإقبالهم عليه بروح عالية .[12]

وأخيراً التقي الجيشان في وادي برباط بالقرب من شذونه ودارت المعركة واستمرت ثمانية أيام وانهزم فيها جيش لزريق وهرب وقيل إن طارقاً هجم عليه فضربه بسيفه وقتله وقيل إنه جرح فرمي بنفسه في وادي لكه فغرق وحمل الوادي جثته الى المحيط وحلت الهزيمة بجنده وتشتت شمله وتفرق وقيل إن طارق غنم من هذه المعركة (10000) عشر ألف رأس وغنم الكثير من الذهب ، وسبب هزيمة لزريق خذلان بني غيطشه له وأيضاً خذلان بعض جنوده له .[13]

ومن نتائج معركة شذونة أن انتصار العرب المسلمين في وادي لكة أحدث هزة قوية في العالم القديم وكان لها اثر كبير على مسيرة العمليات ومنها :

---

(12) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 264 – 265 .

(13) الطاهر ، أمين أحمد ، دور القائد موسي بن نصير في بلادي المغرب والأندلس ، مصدر سبق ذكره ، ص 68 .

– حسن ، (الدكتور) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 340 .

أولاً: انفتاح شبه جزيرة ايبريا أمام العرب المسلمين بعد تحطيم قوة جيش القوط وإنزال الخسائر الفادحة في تعداده حيث قتل منهم عدد كبير وان انتصار المسلمين في وادي لكة القي باسبانيا كلها في أيدي المسلمين ولم يكن طارق بحاجة إلا إلي قليل من الجهد ليقضي على المقاومة الضئيلة في بعض المدن (14) .

ثانياً: حصل العرب من الغنائم على إعداد كبيرة من الخيول كانت كافية لحملهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلٌ مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة وصلوا طليطلة (*) ولم يكن تحقيق هذه المرونة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلها المسلمون عبر مضيق الزقاق (*1) ، بجانب ذاك فقد ارتفعت الروح المعنوية للمسلمين واكتسبوا مزيداً من الثقة بالنجاح مقابل وضع مناقض عند القوط ، وأسرع المقاتلون في أفريقيا ألي عبور البحر والالتحاق بقوات طارق أبن زياد وصعد أهل الأندلس إلي الحصون والقلاع وهربوا من مناطق السهول ولجأوا إلي الجبال ، من كثرة أعداد العرب في اسبانيا .(15)

ثالثاً: ومن نتائج المعركة أيضاً أصبح الطريق سالكاً للمسلمين لفتح بقية الأندلس ونشر الإسلام فيها ويلاحظ أن المسلمين كانوا يجدون التعاون والتشجيع من أهل البلاد الأصليين من الأسبان ضد حكامهم الأصليين لما يعلمونه من عدل المسلمين وسماحة الإسلام .(16)

3/ فتح قرطبة :-

---

(14) المرجع السابق نفسه ، حسن ، ج 1 ، ص 311 .

(*) طليطلة هي احدي المدن التي بنيت في مدة قصيرة ، يمر بها نهر تاجو وهي مدينة تقع وسط الأندلس ، وكانت قاعدة للقوط ، وبها سور منيع ، سماها قيصر الروم بزليطة وعربت إلي طليطلة .

-ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 56 .

- ابن حوقل ، مصدر سبق ذكره ، ص 111 .

(*1) الزقاق هو مضيق يربط بين المغرب والأندلس وامتداده من طنجة حتى الأندلس أثني عشر ميلاً ، حفره الاسكندر الأكبر ، عبر به طارق بن زياد لذا عرف باسمه .

- المقري ، التلمساني ، الشيخ أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1988 ، ج 1 ، ص 135 .

(15) حسن، إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 311 .

(16) العمري ، عبد العزيز بن إبراهيم ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، دار اشبيليا للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، 1419هـ ، ص 183 .

رأي طارق وبعد أن استشار رؤساء جيشه أن وقف القتال يعرض المسلمين للخطر ويعطي القوط فرصة يلمون فيها شعثهم ويوحدون كلمتهم فأخذ يزحف على مدن اسبانيا ، وقسم جنده الي ثلاث فرق بثها في شبه الجزيرة : فأرسل مغيث بن الحارث [*2] على رأس(700) سبعمائة فارس إلي قرطبة وقيل إن الذي سار إلي قرطبة هو طارق نفسه وكان معظم أهلها قد رحلوا إلي طليطلة التي كانت حاضرة دولتهم وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس وقد دلهم راعي غنم على ثغرة في سور قرطبة العالي الحصين كما أعانت الطبيعة المسلمين على أعدائهم في تلك الليلة فنزلت الأمطار وسقط الجليد فلم يسمع الأسبان وقع حوافر الخيل ، وعبر المسلمون نهر قرطبة وباغتوا حراس المدينة الذين هربوا من المطر والبرد ، وتسلق المسلمون السور وباغتوا الحراس وقتلوا جزءً منهم وفتحوا باب الحصن واستولوا على المدينة عنوة وتحصن أميرها بكنيسة غربي المدينة ثلاثة أشهر حتى ضاق ذرعاً وأرغم على الهرب ، فطارده مغيث وقبض عليه ثم جمع يهود قرطبة واقرهم فيها مع طائفة من الجند [17] .

أما المجموعة الثانية التى أوكل لها مهمة فتح مالقه [*] فمضت إلى هدفها ونجحت في القضاء على المقاومة التي تمزقت والتجأت إلى الجبال وتابعت القوة سيرها فانضمت إلى المجموعة الثالثة المكلفة بفتح غرناطة والتي وجهها طارق للتقدم نحو البيرة [*1] وغرناطة ، ونجحت هذه المجموعة في حصار غرناطة واقتحامها عنوة واقاموا فيها حامية وضموا إليها اليهود للاستعانة بهم ثم

(*2) مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغساني ، وقع في السبي أثناء معارك المسلمين مع الروم وهو صغير ، فضمه عبد الملك بن مروان إليه وأدبه مع ابنه الوليد ، ونشا مغيث في دمشق فأفصح بالعربية وقال الشعر وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه الوليد إلي الأندلس غازياً مع طارق بن زياد ، توفي 100هـ / 718م .

- العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص297.

(17) حسن ، إبراهيم حسن ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 311 – 312 .

(*) مالقه هي احدي قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه كالتين **والعنب والرمان والموز .**

- ياقوت الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 367 .

(*1) البيرة بلدة قريبة بين ساحل البحر ، كانت مملكة جبلية بها مملكتي قرطبة والحربة ومملكتي جيان ومالقة وهي كثيرة الأشجار والأنهار .

- الحموي المصدر السابق نفسه ، ج 2 ، ص 92 .

تـابعوا تقـدمهم حتـى وصـلوا إلـى اريولـة [*2] وهنـاك وقعـت معركـة قويـة ونجـح المسلمون في انتزاع النصر وإرغام حاكمها على الانسحاب والذي لجأ إلى الخديعـة حيـث أمـر النسـاء والأولاد بارتـداء ثيـاب المقـاتلين وحمـل الأسـلحة والتوقـف عنـد الأسـوار ، وعـرض علـي المسـلمون الصـلح ثـم نـزل وفـاوض المسـلمين ، وبعـد أن حصـل علـى شـروط الأمـن وتـم التوقيـع علـى الاتفـاق عرفهم بنفسـه ، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينـة فلـم يجـدوا فيهـا سـوي النسـاء والأطفـال وحـافظ العـرب علـى الوفـاء كمـا هـي عادتهم وتركوا في المدينة حامية صغيرة وتابعت قوة المجموعة تحركها حيث التحقت بالقوة الرئيسة التي توجهت بقيادة طارق للاستيلاء على طليطلة.[18]

4/ فتح طليطلة:

وعند وصوله إليها وجدها خاوية وكان الملك قد اختفي وراء جبل طليطلة فتحرك طـارق لمطـاردة الهـاربين ثـم دخلـوا مدينـة المائدة [*] وغنم منهـا مـالاً كثيـراً وجـواهر وفضـة وذهبـاً وسـلاحاً ثم رجـع مرة أخرى إلـي طليطلـة واستقر فيهـا وكتـب إلـى موسي بما حققه من نجاح وما كان من موسي إلا أن كتب إلى الوليد يهنئه بمـا تحقق من فتوحـات فـي الأنـدلس وقيل أن موسـي كتـب إلـي طـارق يلومـه علـى عدم الاستماع إلى ما أمره به ، وذلك لأنـه طلب منـه عدم التحرك حتى يصل إليه [19].

وقيل إن اختراق طـارق الأنـدلس من أقصـى الجنوب إلى ما فوق الوسط أبقي جميع البلاد علـى الجـانبين غير خاضـعة لـه وهذا قد يودي إلـي تجمـع الحاميات القوطيـة

(*2) اريوله تسمي تدمير ، تقع على نهر شعوره ، شرقي الأندلس .

- الحميري ، مصدر سبق ذكر ، ص 96 .

(18) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكر ، ص 270 – 271 .

(*) مدينـة المائدة قرب طليطلـة شيدها اليونـانيون ، وأطلقوا عليها بيت الحكمة ووضـعوا بها بعض الطلاسم التي اعتقدوا أنها تمنعهم من شر الأعداء ، واحكموا إغلاقها ، فتحها لزريق واطلع عليها .

- ابن خلكان ، مصدر سبق ذكره ، ص 47 .

(19) الطاهر، أمين احمد ، دور القائد موسي بن نصير في بلادي المغرب والأندلس ، مصدر سبق ذكره ، ص 72.

واتحادها الأمر الذي يجعل خط الفتح الإسلامي عرضه للانقطاع في أي لحظة [20].

وبعد أن تم النصر تقدم أبناء غيطشه إلى طارق بن زياد يطلبون منه أن يمكنهم من حكم البلاد وان يعودوا بالغنائم التي وعدهم بها عندما ساندوه في حربه ضد لزريق لكن طارق شرح لهم بأن هذا لا يكون فالأمر أمر جهاد ولا مانع من أن يعيد لهم أملاكهم المسلوبة ولكنهم لم يقبلوا بذلك فقدمهم إلى موسي بن نصير والذي كان رأيه مطابقاً تماماً لرأي طارق ولكنهم لم يقتنعوا فأرسلهم إلى الخليفة الوليد في دمشق والذي لم يختلف رأيه عن آراء قواده ، وأخيراً قبل أبناء غيطشه برد أملاكهم وكان عددها(3000) ثلاثة آلاف ضيعه وهكذا كان الفتح الإسلامي خيراً وبركةً على أبناء غيطشه إذ عادت لهم حقوقهم المغتصبة. [21]

وبهذا انتهت المرحلة الأولى من فتح الأندلس على يد طارق بن زياد الذي وجد معاونة كبيرة في هذه الفتوح التي حققها من أصحاب البلاد الأصليين وعلى رأسهم يليان حاكم سبته وبدأت مرحلة ثانية مكملة لفتح الأندلس برز فيها دور قائد كبير هو موسي بن نصير الذي توجه نحو الأندلس ليكون له شرف فتح الأندلس مع طارق بن زياد

ت/ جهود القائد موسي بن نصير:

كان موسي بن نصير يتابع توغل طارق في عمق الأندلس تاركاً الجوانب من غير حماية فأخذ موسي في تجهيز قوة اكبر واستخلف على افريقية ابنه عبد الله [*] وتوجه بقوة وصل عددها إلي(18000) ثمانية عشر ألف مقاتل فيهم رجال من قريش[*1] وزعماء العرب ووجوه الناس وبعد أن تم حشد القوات في طنجة بدأت عملية العبور ووصل موسي وجيشه إلي الأندلس 93هـ / 712م واحتل الجبل الذي

---

(20) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص273.

(21) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، تاريخ المغرب والأندلس ، مرجع سبق ذكره ، ص15.

(*) عبد الله بن موسي بن نصير اللخمي أمير ومن رجال الفتوح في المغرب كان مع أبيه في افريقية قبل دخوله الأندلس استخلفه أبوه على القيروان 93هـ / 712م ، قتل سنة 103هـ / 722م .

- الزركلي ، مصدر سبق ذكره ، ج 4 ، ص 140 .

(*1) قريش سمي قريش لأنه تشبه بدابة البحر (القرش) وقيل كان يقرش بفضله المحتاج المعدم وغيرهم

.أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية، بدون مكان ، 1325هـ ، ص 10 .

كان قد شهد إنزال قوات طارق ثم تجازوه فنزل الجبل الذي نسب إليه وسيطر بقواته على الجزيرة الخضراء فلما استقر فيها أسرع إليه يليان وعقد معه مجلساً للتشاور ثم عقد مؤتمراً حضره قادة العرب وجمع حوله الرايات ثم قرر موسي في ذلك المكان تشييد مسجد عرف بمسجد الرايات (*2) ، وتحرك موسي بجنوده نحو مدينة شذونه وقرمونة (*3) ولكن هذه المدن أصبحت مراكز للمقاومة بعد توغل طارق ومسيرته حتى طليطلة فتوجه موسي بجيشه في جانب ساحل شذونه وافتتحها عنوة ، وكانت قرمونة أحصن مدن الاندلس ، فلجا موسي إلي الخديعة حيث استعان بأصحاب يليان ودفعهم أمامه فدخلوا قرمونة وكأنهم فلول منهزمة تريد الإغاثة فرحب بهم الملك وفي الليل فتح أصحاب يليان الأبواب ودخلها المسلمون وتم بذلك فتح المدينة .(22)

وتوجه موسي بن نصير شمالاً في اتجاه اشبيلية (*) وكان أهلها نقضوا اتفاقهم مع طارق وتحصنوا وراء سور المدينة واستعدوا للحرب فنزل موسي بجيشه وحاصرهم وعرف المدافعون عن المدينة تصميم المسلمين على فتحها فضعفت مقاومتهم واخترق موسي الحصار ونجح في إسقاط المدينة وهرب عدد من المقاومين فضم موسي من كان بها من اليهود ووضع بها حامية صغيرة واستأنف تقدمه نحو ماردة (*1) .(23)

1/ فتح ماردة :-

(*2) مسجد الرايات سمي بذلك لأن موسي جمع حوله رايات العرب ووجوه الناس وتفاكر معهم حول خطوات المسير إلي الأندلس ، وكان هذا المسجد يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

- خطاب ، محمود شيت ، مرجع سبق ذكره ، ص 256 .

(*3) قرمونة تقع شرقي اشبيلية ، وهي حصينة ومتينة وبها آثار كثيرة .

- الحميري ، مصدر سبق ذكره ، ص 158 .

(22) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 276 .

(*) اشبيلية هي من أعظم قواعد الأندلس وأهم مدن الأندلس ، متقنة البناء وعظيمة الآثار، وهي دار ملك أهل روما قبل القوط ، وبها رؤساء الدين والعلماء .

- ابن عذارى ، مصدر سبق ذكره ، ص 14 .

(*1) ماردة من مدن الأندلس ، أسسها الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر وجعلها عاصمة لإقليم لشدانية ، حملت مشعل الحضارة الرومانية في اسبانيا حتى صارت تعرف بروما اسبانيا .

- الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 5 ، ص 38 .

(23) ابن عذارى ، مصدر سبق ذكره ، ص 14 .

اخترق موسي بن نصير أثناء تقدمه مدينة لقنت [*2] وعندما اقترب مسافة تزيد على الميل من ماردة اصطدمت قواته بالحامية المدافعة عن المدينة وجرت معركة شديدة قاتل فيها أهل الأندلس ولم يتمكن المسلمون من إحراز نصر حاسم ، وعمل موسي بن نصير على دراسة الأرض فوجدها تضم مجموعة من الحفر كانت مقاطع للصخر فأقدم على توزيع جزء من قواته وإخفائها في الحفر وأحسن المقاتلون التمويه بحيث لم ينجح خصمهم في اكتشافهم ، وبدأت معركة في اليوم الثاني وكانت طاحنة فبدأ التحول لمصلحة المسلمين وظهر المقاتلون من حفرهم وأخذت قوة الكمين تضرب بقوة في مؤخرة جيش الخصم ، وكانت المباغتة كافية لانهيار المقاومة وأخذت فلول الأندلسيين في الانسحاب إلي المدينة ، وبعد ذلك نظم موسي الحصار وعزل المدينة ولكن الحامية لم تضعف واستمرت في المقاومة شهراً واستخدام المسلمون الدبابة ومضوا في داخلها ونقبوا عن ثغرة في السور ، لكن العدو هاجمهم على حين غفلة واستشهد من المسلمين عدد كبير تحت الدبابة ، فسمي ذلك الموضع برج الشهداء . [24]

وأدركت الحامية المدافعة عن ماردة تصميم المسلمين على فتح المدينة ، وكان الحصار الطويل قد مارس دوره في التأثير على نفسية المقاتلين فأرسلوا وفوداً لعقد الصلح وعرضوا شروطاً رفضها موسي بن نصير ، وأخيراً نزلوا على مطالب المسلمين وهي أن تكون جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلي المسلمين وأموال الكنائس وحليها كلها للمسلمين أيضاً ، ونزل المسلمون المدينة يوم الفطر الأول من شوال 94هـ / 713م .[25]

2/ قمع حركة التمرد في اشبيليا :-

(*2) لقنت تقع في جنوب الشاطئ الشرقي من الأندلس وهي من أعمال ماردة وتوجد تقنت الكبرى وتقنت الصغرى .

- الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 6 ، ص 336 .

(24) العسلي بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 277- 278 .

(25) المقري ، التلمساني ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 270 .

- الطاهر ، أمين أحمد ، دور القائد موسي بن نصير في بلادي المغرب والاندلس، مصدر سبق ذكره ، ص 83 .

كانت فلول الحاميات التي هزمت خلال عمليات موسي ومحاصرته لماردة قد تجمعت مرة أخرى وعزمت أن تأخذ بثأرها من المسلمين وقد تجمعوا في لبة (*) وباجة (*1) من مدن الأندلس ، وعندما اصطدم موسي بالمقاومة العنيده في ماردة أعادت هذه الفلول تنظيمها للمعركة وتحركت نحو اشبيلية ودخلتها وأبادت الحامية الصغيرة التي تركها موسي في المدينة وقتلوا من كان بها من المسلمين واستطاع بعضهم الفرار وأُخبر موسي بالموقف وبعد ما أتم موسي حصار وفتح ماردة وجه قوة بقيادة ابنه عبد العزيز(*2) بمهمة القضاء على المقاومة وحماية مؤخرة جيشه وتأمينه حيث توجه عبد العزيز إلي اشبيلية واقتحمها ودمر قوة المقاومة فيها ثم توجه إلي لبة وقضي على قوة القوط المتمردة وترك حامية قوية في كل مدينة تستطيع تأمين القاعدة الخلفية لتقدم المسلمين .(26)

وظل موسي بن نصير شهراً في ماردة حيث تم له تحقيق استقرار المجتمع وتنظيمه خلال هذه الفترة وإعطاء القوات فترة للاستعداد من أجل متابعة العلميات وبعد شهر توجه بقواته ينشد الوصول إلي طليطلة وتوفرت المعلومات لموسي بن نصير عن تجمع قوات القوط في الجبال الشمالية فقرر موسي استدعاء طارق لملاقاته بقوته وتوجه موسي وتابع تقدمه فوصل طلبيرة (*) وتوقف فيها فترة قصيرة وأما طارق فسار مسافة قدرها (150) مائة وخمسين كيلو متراً في الطريق من

(*) لبة تقع شرق اكشونية وغرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام ، وتجمع بين البر والبحر والزرع والضرع والنخيل وتنتج أجناس من الثمار وفيها كثير من الزيتون والأعناب .

– الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 317 .

(*1) باجة تقع على 180 كم جنوب لشبونة ، وهي على مسافة 66 كم من الحدود الفاصلة بين اسبانيا والبرتغال حالياً.

– العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 279 .

(*2) عبد العزيز بن موسي بن نصير أول والي في الأندلس بعد مغادرة موسي بن نصير وطارق بن زياد الي دمشق ، كان رجلاً تقياً قوياً وأدارياً وعسكرياً ، نظم أحوال الأندلس ، تزوج أرملة لذريق وتسمي أيخيلونا أيلية التي أسلمت وتكنت بأم عاصم ، عمل عبد العزيز علي نشر الإسلام بين الاسبان بالتبشير والإقناع والترغيب ، مات مقتولاً وهو يصلي في مسجد بإشبيلية في 97هـ / 716م .

– نعنعي، الدكتور عبد المجيد ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت ، 1986م ، ص83.

(26) العسلي ، بسام ،مرجع سبق ذكره ، ص279 .

(*) طلبيرة مدينة بالأندلس شمال شرق ماردة ، والي الغرب من طليطلة .

– خطاب ، محمود شيت ، مرجع سبق ذكره ، ص 261 .

طيطلة في اتجاه طلبيرة وتوقف في انتظار تقدم موسي بن نصير الذي واصل في سيره فلما التقيا استعرضت قوات المسلمين في الوادي الذي عرف من ذلك الوقت المعرضي ، ودفع موسي مقدمة له بقيادة طارق ، وتابع تقدمه عبر الطريق الروماني القديم و واصل مفرق طريق ماردة وواصل في تقدمه حيث حدثت المعركة المعروفة بأسم معركة السواقي وكان القوط قد حشدوا قواتهم مستفيدين من صعوبة الأرض وعندما وصل المسلمون انقضوا عليهم وكانت معركة ضارية قاتل فيها المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر وتمزقت بذلك قوات القوط .[27]

ثم أعاد موسي تنظيم قواته بعد المعركة ودفع مقدمة قواته بطارق بن زياد وتوجه إلي طليطلة وكانت بقايا قوات القوط قد استفادت من مغادرة جيش طارق لطيطلة فأعادت تنظيم مقاومتها وتحصنت وراء أسوار المدينة لكن انهيار جيش القوط في معركة السواقي حطمت مقاومتهم ودخل موسي طليطلة ظافراً وأستولي علي ماضمته كنائسها وأديرتها من كنوز وعقب استقرار موسي في طليطلة أرسل إلي الوليد بن عبد الملك يبشره بفتح الأندلس فقيل ان الوليد عندما سمع هذا الخبر خر ساجداً وشرع موسي في ضرب نقودٍ من الذهب في دار السكة القديمة في طليطلة لينفق منها على جنده وحملت هذه النقود شعارات إسلامية مثل : بسم الله ولا إله إلا الله وواحد عليم وليس كمثله إله غيره .[28]

3/فتح سر قسطة [*] وفتوح الشمال :

دفع موسي بمقدمة لقواته بقيادة طارق بن زياد ووضع هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة ومضي القائدان لفتح شمالي اسبانيا ففتحا أقاليم قشتاله [*1] وغيرها واستوليا علي سرقسطه عاصمة الثغر الاعلى وأستمرا في السير حتى

---

(27) العسلي ، بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 281 .

(28) الطاهر ، أمين أحمد ، دور القائد موسي بن نصير بلادي المغرب والأندلس ، مصدر سبق ذكره ، ص 86 .

- العسلي بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 282 .

(*) سرقسطه مدينة بناها القيصر أغسطس فحملت اسمه وتقع سرقسطة على نهر ابره و يشتق منه نهر حلق جارياً الى الشمال

- الحموي ، مصدر سبق ذكره ، ج 5 ، ص 71 .

(*1) قشتالة اقليم بالاندلس بين جبال كنيتربا في الشمال وجبل الشارة في الجنوب وهي قصبة طليلطه .

- العسلي ، مرجع سبق ذكره ، ص 289.

بلغا جبال البرانس (*2) وتم بذلك فتح اسبانيا عدا الاقاليم الجبلية في الشمال الغربي التى التجأ اليها اشراف القوط ولم تقف اطماع موسي عند حد جبال البرانس ، بل عزم على مواصلة الفتوح في جنوب بلاد فرنسا (*3) الحالية على أن يتجه شرقاً حتى يصل الى القسطنطينية التى عجز العرب عن فتحها ، ثم يستمر شرقاً حتى يصل الى حاضرة الخلافة ، ولما بلغ الخليفة الوليد ذلك أمره بالكف عن التوسع واستدعاه هو وطارق وارسل له مع مغيث ولكنه لم يأت مباشرة وواصل في فتوحاته ووصل الى جيليقية (*4)غرب الأندلس ، ولما شعر الوليد بتأخره بعث اليه رجل آخر وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج وألزم رسوله أن يزعجه ، ولأن الوليد لم يقبل أن يعرض المسلمين للخطر كما أنه كان يخشي ازدياد نفوذ موسي واستقلاله بتلك البلاد اذا تم له فتحها ، فرحل موسي الى دمشق سنة 96 هـ / 715م غير أن العمر لم يمتد بالوليد ليستقبل قائديه فقبض في نفسه العام 96 هـ / 715م وكانت ولايته تسع سنوات وسبعة أشهر . (29)

وخلاصة لما سبق فقد بذل القائدان موسي بن نصير و طارق ابن زياد مجهودات كبيره ومقدرة في فتح بلاد الأندلس وحققا انتصارات على القوط بعد معارك طاحنة استشهد فيها قادة أفذاذ من المسلمين . فغيّر الفتح الإسلامي

(*2) جبال البرانس تكوّن حاجزاً بين فرنسا وأسبانيا، رفعت في وقت سابق لرفع الجرم الرئسي للألب وترتفع البرانس ارتفاعاً فجائياًمن السهول في الجنوب وتحوي سلاسلها الضيقة كتلاً من الصخور الهرسينية التي أحتوتها الرسوبيات الملتوية ورفعتها معها ، وتتميز البرانس بأنها أكثر إتصالاً وأقل أحتواء للممرات .

– جودة ، حسين و الزوكة ، محمد خميس ، جغرافية أوراسيا الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ ، ص110 .

(*3) فرنسا هي أكبر دولة في أوربا بعد الأتحاد السوفيتي سابقاً، تبلغ مساحتها ضعف مساحة المملكة المتحدة ، وهي قطر شديد الإندماج ، وهي عبارة عن حضارة متباينة أنصهرت بالتدريج مكونة الوحدة المتجانسة الحالية .

– المرجع السابق نفسه ، ص 107.

(*4) جيليقية يسميها العرب غاليسية وهي باقصي شمالي غرب الأندلس وهي سهلية ورملية التربة ، ويتصف سكانها بالخيانه وسوء الخلق .

– الحميري ، مصدر سبق ذكره ، ص 66.

(29) حسن (الدكتور) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 313 – 314 .

حالة أهل الأندلس بوجه عام وزال حكم القوط وقد أراد موسي ابن نصير مواصلة الفتوح في أوربا بيد أن الخليفة الوليد استعجل عودتهما إلى دمشق [30]

(30) المرجع السابق نفسه ، ج 1 ، ص 314 – 315 .

الخاتمـــة

شهدت الدولة الأموية في فترة خلافة الوليد بن عبد الملك نهضة حضارية داخلياً وخارجياً ، وذلك بفضل استقرار الدولة التي ورثها عن أبيه الذي قضي على كل المعارضة والفتن الداخلية وبذا فقد ورث أمناً مستتباً وملكاً مستقراً مما أتاح له الفرصة لمتابعة مسيرة البناء والتوسع الخارجي .

و منذ أن تقلد الوليد الخلافة اتجه نحو الإصلاح الداخلي فعين ابن عمه عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة المنورة الذي اهتم بأهلها اهتماماً كبيراً وحكم فيهم بالعدل وطبق معهم مبدأ الشورى .

هذا وقد ظهر اهتمام الوليد بالجوانب العمرانية فطلب من عمر بن عبد العزيز أن يجدد بناء المسجد النبوي الشريف، كما اتجه الوليد بعد إتمام المسجد النبوي الشريف الي بناء المسجد الأموي في دمشق الذي كان معبداً واستطاع الوليد إقناعهم بالتنازل عن هذا المعبد فأقام في مكانه المسجد الذي يعتبر من أفضل ما تمّ بناؤه في تلك الفترة .

أما في الجوانب الاجتماعية فقد أهتم اهتماماً خاصاً بحملة القرآن الذين خصص لهم رواتب وقضي عنهم ديونهم ، كما تعهد الأيتام وعين لهم من يقوم بتربيتهم وأعتني بالمرضي و أقام لهم المستشفيات .

أما في المجالات الثقافية والإدارية فقد واصل ما بدأه والده في حركة التعريب بمساعدة الحجاج بن يوسف الذي بدأ هذا الجانب مع عبد الملك ويحسب للحجاج أنه أمر بوضع النقاط فوق الحروف في القرآن الكريم في عهد الوليد ، بجانب ذلك فقد تم نقل الدواوين في مصر من اللغة القبطية إلي اللغة العربية بمساعدة أخيه والي مصر عبد الله بن عبد الملك وغير ذلك من الإصلاحات الداخلية التي شهدتها فترته .

أما في الجانب الخارجي الذي يعتبر من الانجازات التوسعية التي تمثلت في الفتوحات التي شملت جبهتين رئيستين هما جبهة المشرق التي ظهرت فيها كفاءة الحجاج بن يوسف الذي شجع قوداه نحو الفتوحات فتوجه قتيبة بن مسلم بمعاونة الحجاج نحو إقليم ما وراء النهر الذي كان من أصعب الأقاليم ولكن بفضل شجاعة وقوة قتيبة بن مسلم استطاع إخضاع هذا الإقليم ونشر الإسلام .

وفي الجانب الأخر ظهرت مجهودات القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي الذي استطاع أن يصل إلي بلاد الهند وان واخضع تلك الأقاليم إلي الإسلام وينشره فيها ويقيم في تلك المناطق مساجد تحمل اسمه و أن يرفع رايات الإسلام في تلك المناطق وقد وصلت محاولات الفتح الإسلامي إلي الصين.

وفي الجبهة الأخرى فقد كانت مجهودات القائد موسي بن نصير وقائده طارق ابن زياد في بلاد الأندلس والتي اختبرت أولاً بالسرايا وبمعاونة يليان حاكم سبته والتي عادت بالغنائم وبعد ذلك اتجه طارق نحو الأندلس يفتح بلدة تلو الاخري و حقق انتصارات كثيرة ، ثم جاء دور موسي بن نصير الذي لحق بطارق بن زياد في الأندلس واستمرا في فتح ما تبقي من البلاد وإعادة فتح البلاد التي تمردت بعد الفتح ووصلا إلي بلاد البرانس في فرنسا ولكن الوليد لم يتركهما يواصلان الفتوحات وطلب منهما العودة إلي دمشق خوفاً من التوغل أكثر في بلاد أوربا .

هذا وقد وصف عصر الوليد بن عبد الملك بأنه العصر الذهبي للفتوح أيام الأمويين ، حيث فتحت مناطق جديدة في السند والأندلس وما وراء النهر ، وأضيفت إلي الدولة الإسلامية مناطق جديدة واتسعت رقعتها ووصلت إلي الصين التي كان العرب يضربون بها المثل في بعدها وكانت كل هذه الإنجازات قد تحققت علي أيدي قواد عظام حفظ لهم التاريخ دورهم الكبير الذي بذلوه وحققوه من أجل رفع راية الإسلام عالية خفاقة .

النتائـج و التوصيات

أ / النتائج

توصلت الدراسة إلي العديد من النتائج ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

1. أعتلي الوليد خلافة الدولة الأموية بعد والده فورث دولة مستقرة وأمناً مستتباً سأعده علي السير قدماً إلي الأمام .
2. سار الوليد على نهج السياسة التي أختطها والده لذا أختار شخصيات تميزت بالكفاءة والحنكة والشجاعة وصقلتهم التجارب فأبقي علي بعض الولاة الذين استعان بهم والده مثل الحجاج بن يوسف ،عدا المدينة المنورة التي عين لها ابن عمه عمر بن عبد العزيز وقتيبة ومحمد بن القاسم وموسي بن نصير .

3. وصف عهد الوليد بأنه من أكثر عهود الدولة الأموية إصلاحات ، واعتبره بعض أهل دمشق أفضل الخلفاء لما شهدته فترته من إصلاحات عمرانية واجتماعية.

4. توسعت الدولة الإسلامية في عهده فشملت بلاد ماوراء النهر والسند ووصلت إلي الصين . أما في الجبهة الغربية فتم فتح بلاد الأندلس ووصلت جيوشه إلي جنوب فرنسا .

ب / التوصيات

هنالك عدد من الخلفاء كان لهم دور في توسع الدولة الإسلامية ونشر الإسلام ولم تفرد لهم دراسات توضح أدوارهم. فتوصي الدراسة بالآتي :

1. تقديم بحوث علمية عن خلفاء الدولة الإسلامية الذين لم تشملهم الدراسات .
2. تقديم دراسة حول فتوحات الدولة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك وأثرها الاقتصادي والاجتماعي .
3. محاولات فتح بلاد الصين .
4. إجراء دارسة حول علاقة الخليفة الوليد بالحجاج بن يوسف الثقفي.
5 إجراء دراسة للاستفادة مما قدمه الوليد للعالم الإسلامي للقادة المسلمين .

الملاحـــــق

ملحق رقم (1)

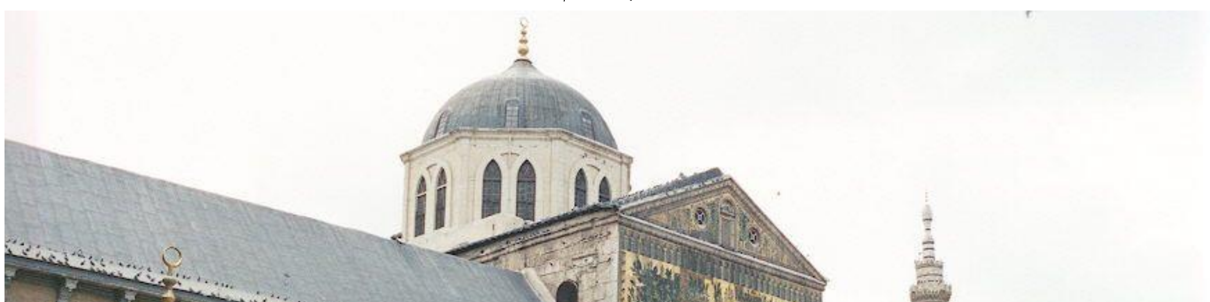
المسجد النبوي الشريف أيام عهد الوليد بن عبد الملك



المصـدر : عبـد اللطيـف ، عبـد الشـافي محمـد، موسـوعة سـفير للتـاريخ الإسـلامي، بدون تاريخ، ص 94

ملحق رقم (2)

المسجد الأموي أيام عهد الوليد



المصـدر : عبـد اللطيـف، عبـد الشـافي محمـد، موسـوعة سـفير للتـاريخ الإسـلامي، مصر، بدون تاريخ، ص96.

ملحق رقم (3)

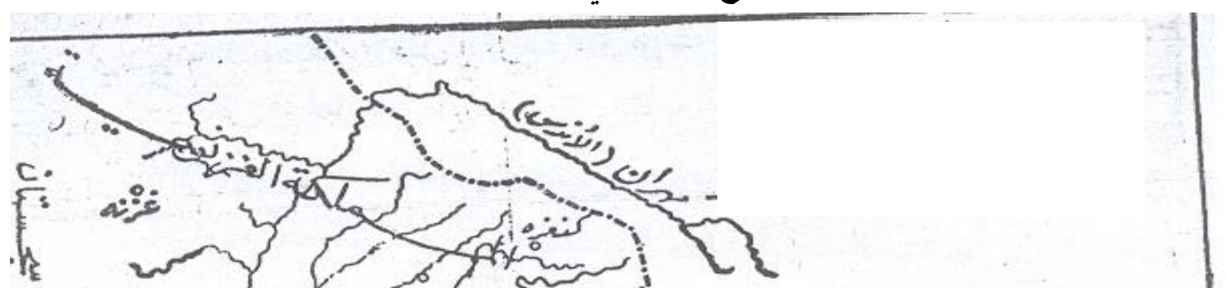
مقاطعات جيحون وسيحون



المصدر : حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة ، ج 1 ، ط 4 ، 1965 م ، ص 274 .

ملحق رقم (4)

الفتح الاسلامي لبلاد الهند



ملحق رقم (4)

الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

المصدر : حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة ، ج 1 ، ط 4 ، 1965 م ، ص 276 .

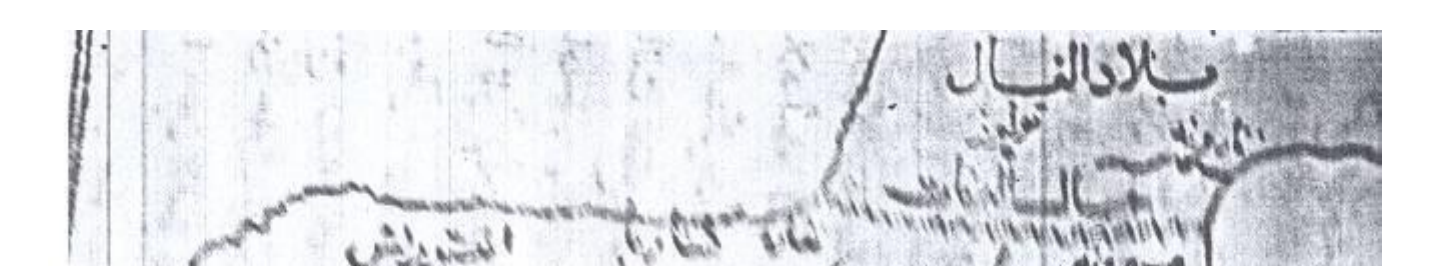
ملحق رقم (5)

العالم الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري

المصدر : عطية الله ، احمد ، حوليات الإسلام، مكتبة دار التراث العرب ، ج 1، 1980م، ص 97

ملحق رقم (6)

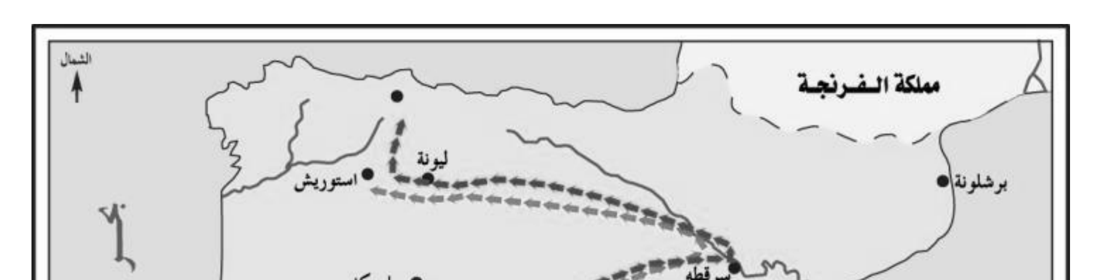
فتح العرب للأندلس



المصـدر : حسـين، علـي إبـراهيم، التـاريخ الإسـلام العـام، مكتبـة النهضـة القـاهرة، الطبعة الثانية، 1982م، ص 309.

ملحق رقم (7)

الفتح الأموي للأندلس



المصدر : عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، مصر، بدون تاريخ، ص 28.

ثبت المصـــــادر والمراجـــع

القرآن الكريم.

أ/ الرسائل الجامعية.

1) أحمد ، الأمين عبد الرحيم، ولاية العهد عند الأمويين، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة الخرطوم، كلية الآداب، 1992م.

2) الطـاهر ، أمـين أحمـد ، الصـراع اليمنـي القيسـي فـي ولايـات الدولـة الأمويـة وآثاره السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية حنتوب ، جامعة الجزيرة ، 2009م .
3) ـــــ ، دور القائد موسي بن نصير في بـلادي المغرب والأنـدلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة ، 2000م .
4) عبد الله ، طيبة محمد ، أساليب الدعوة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية الدعوة جامعة أمدرمان الإسلامية ، 2006م .
5) عبـد الـرحيم ، حيـاة سـيد أحمـد ، قتيبـة بـن مسـلم ودوره فـي بنـاء الدولـة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2003 م .

ت/ المصادر الأولية العربية:

1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر بيروت، 1993 م .
2) ــــ، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979م.
3) ابن اعثم ، أبي محمد أحمد ، الفتوح ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986م .
4) البلاذري ، فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1998م
5) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن على ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد على البجاوي ، دار الجيل ، بيروت 1412هـ.
6) ــــ، تهذيب التهذيب، دار الفكر ، بيروت ، 1884م .

7) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، 1955م.
8) الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1959م .
9) ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .
10) ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
11) ــــــ ، تاريخ بن خلدون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات والنشر ، بيروت ، 1961م .
12) ابن خلكان ، شمس الدين محمد بن حمد ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1994م .
13) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1981 م .
14) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،1995م .
15) السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الخلفاء ، بيروت ، دار التراث ، 1969 م.
16) الشهرستاني ، حمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق احمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثامنة ،2006م .
17) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1938م .

18) ابن الطقطقي ، محمد بن على ، الفخري في الآداب السلطانية في الدولة الإسلامية ، دار صادر للطباعة والنشر ، 1960 .

19) ابن عذارى ، أبو محمد عبد الله ، البيان في المغرب ، دار الثقافة بيروت ، 1984م .

20) ابن عساكر، أبو القاسم بن علي، تاريخ مدنية دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد، دار الفكر، بيروت، 1996م .

21) ابن عبد البر ، يوسف عبد الله ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، حققه علي البجاوي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الثانية ، 1412هـ .

22) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي القاهرة ، 1961م .

23) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد، دار مكتب الهلال القاهرة، 1940م.

24) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، 1325هـ.

25) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .

26) ـــــ ، الشعر والشعراء ، طبع في ليدن 1902 م .

27) القزوني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960 م .

28) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق أحمد جاد، دار الجيل، بيروت 1989م .

29) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م.

30) الماوردي ، أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي 1985م.

31) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 م .

32) ـــــ ، التنبيه والأشراف ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1965م.

33) المقري ، التلمساني ، الشيخ أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت م1988.

34) ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر سوريا، 1989م.

35) اليعقوبي ،أحمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، دار الفكر بيروت ، 1956م .

ت/ المراجع العربية الثانوية:

36) البستاني، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ، دار المعرفة بيروت ، 1995م.

37) محمود، نصير ، أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك ، مطبعة خلف ، مصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

38) الجوهري، يسري، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م.

39) حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 م .

40) حماده ، ماهر محمد ، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بنى أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ .

41) الخربوطلى ، علي حسين ، الدولة العربية الأموية ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة، 1960م .

42) الخضري بك ،الشيخ محمد، محاضرات في تاريخ الدولة الأموية، تحقيق الشيخ محمد العثماني، دار القلم بيروت، 1986م .

43) خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح السند وأفغانستان ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ،1998م .

44) الريس ، رضاء الدين ، أعلام العرب عبد الملك بن مروان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 2002م.

45) زعرور ، إبراهيم وعلي أحمد ، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، 1417هـ .

46) سالم، السيد عبد العزيز , دراسات في تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 2003م .

47) ـــــ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ .

48) سيد الأهل، عبد العزيز، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، 1974م .

49) شاهين، حمدي، الدولة الأموية المفتري عليها، دار القاهرة للكتب، الطبعة الثالثة، 2005 م.

50) شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مطبعة
ال صادق، دولت أحمد ، جغرافية العالم ، أسيا وأوربا، مكتبة الإنجلو المصرية ،1989م .

51) الصلابي ، علي حمد ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2006م .

52) الصوفي ، الدكتور خالد ، تاريخ العرب في الأندلس ، الفتح وعصر الولاة ، منشورات جامعة قارينوس ، كلية الآداب ، بدون مكان ، 1980م .

53) ضرار ، صالح ضرار ، العرب من معين إلي الأمويين ، الدار السودانية للكتب ،الخرطوم ،1998م .

54) طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الأموية ، دار النفائس ، بيروت الطبعة الثالثة ، 1421هـ.

55) طلس ، محمد أسعد ، تاريخ بني أمية ، بيروت ، 1958م .

56) نهضة المصرية ، 1978م .

57) طه ، عبد الواحد ذو النون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، منشورات مكتبة باسل ، العراق، 1985.

58) عاقل، نبيه ، خلافة بني أمية ، دار الفكر ، الطبعة الثانية 1975م.

59) العبادي ، أحمد مختار ،في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية بدون تاريخ .

60) عبد الجبار ، نعمات عمر وقسم السيد محمد ، التاريخ الأوربي ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، الطبعة الأولي ، 2005 م .

61) عبد اللطيف ، محمد عبد الشافي ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 2008م .

62) ـــــ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، الطبعة الرابعة ، 1423هـ .

63) العدوى، أحمد إبراهيم، ، تاريخ العالم الإسلامي في العصر الأموي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986م.

64) ـــ ، التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1976م ، ص 233 .

65) العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، بيروت ،1988م .

66) العش ، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنه عثمان ، دار الفكر العربي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1985م .

67) العمر ، إحسان صدقي ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، دار الثقافة بيروت ، 1973م.

68) العمري ، عبد العزيز بن إبراهيم ، الفتوحات الإسلامية عبر العصر ، دار اشبيلية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1419هـ .

69) علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت ، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولي 2001م.

70) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، تاريخ المغرب والأندلس ، مطبعة جامعة النيلين ، الطبعة الثانية ، 1995م .

71) ـــ، تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولي ، 2006م .

72) فيصـل، شـكري، حركـة الفـتح الإسـلامي فـي القـرن الأول، دار العلـم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، 1974م.

73) فيصـل، ماجـد، عمـر بـن عبـد العزيـز وسياسـته فـي رد المظـالم، إدارة المطبوعات، مكة المكرمة، 1406 هـ .

74) القضـاعي ، سـلامة محمـد ، عيـون المعـارف وفنـون الخلائـف ، حققـه نشأت بن كمال المصري ، دار النشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولـي ، 2008م .

75) محمـود، نصـير ، أبطـال الفـتح الإسـلامي مـن العـرب والتـرك ، مطبعـة خلف ، مصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

76) المصطاوي ، عبد الرحمن ، انساب النساء ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى 2002 م .

77) أبـو النصـر، عمـر، الأيـام الأخيـرة للدولـة الأمويـة، منشـورات المكتبـة الأهلية، بيروت الطبعة الأولي، 1963م.

78) نعنعي ، الدكتور عبد المجيد ، تاريخ الدولـة الأمويـة فـي الأنـدلس ، دار النهضة العربية بيروت ، 1986م .

ث/ المراجع الأجنبية المعربة:

79) بأمان ، حيدر ، مجالي الإسلام ، نقلة إلي العربية عادل زعيتر ، طبع بدار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1956 م .

80) حتى فيليب ، وآخرون ، تاريخ العرب ، دار الكشاف ، الطبعة الرابعة 1965م .

ج/ الدوريات

81)خطاب ، محمود شيت ، فتح كاشغر ، مجلة الأمة ، العدد 50 ،صفر 1405هـ .

82)الصواف، حسن ذكي، مجلة الوعي الإسلامي، الجامع الأموي درة دمشق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد 532، 2010م.